

سَيِّغْمُونْدُ فَرْوَيْد

مَدْخَلٌ إِلَى التَّحْلِيلِ لِنَفْسِي

ماجد

مَرْجَمَةُ:

جُورْج طَرَابُيشِي



دار الطليعة - بيروت

مدخل إلى
التحليل النفسي

حقوق الطبع محفوظة
لدار الطليعة للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

ص.ب. ١١١٨١٣

تلفون ٣٠٩٤٧٠

٣١٤٦٥٩

فاكس ٣٠٩٤٧٠

الطبعة الأولى : ايار (مايو) ١٩٨٠

الطبعة الثانية : نيسان (ابريل) ١٩٨٢

الطبعة الثالثة : آذار (مارس) ١٩٩٥

سينغونذ فرويد

مدخل إلى
التحليل النفسي

ترجمة:
جوز طرابيشي

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

هذه ترجمة كتاب

Introduction A La Psychanalyse

**Première Partie
Les Actes Manqués**

**Par
Sigmund Freud**

Petite Bibliothèque Payot

Paris 1962

تقديم

في الفصلين الدراسيين من شتاء ١٩١٥ - ١٩١٦ وشتاء ١٩١٦ - ١٩١٧ ، وتحت عنوان محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي ، القى فرويد في احد مدرجات عيادة الطب العقلي فسي جامعة فيينا ثمانين وعشرين محاضرة في ثلاث مجموعات ، حضرها اطباء وطلاب طب ومستمعون من سائر الكليات الاخرى . وقد ارتجل محاضرات الفصل الاول ارتجالا ، اما محاضرات الفصل الثاني فقد كتبها في اثناء اصطيافه في سالزبورغ ، ثم القاها بنصها في الشتاء التالي .

وبعد ذلك بخمسة عشر عاما ، وتحديدًا في صيف ١٩٣٢ ، كتب فرويد مجموعة رابعة من سبع محاضرات تخيل وكأنه يلقيها على المستمعين انفسهم ، ولكنه في الواقع لم يلقيها لانه كان قد بات عاجزا عن المحاضرة في الجمهور بعد اجراء عملية جراحية له لاستئصال سرطان في الفك . وقد جعل فرويد عنوان هذه المحاضرات الوهمية السبع محاضرات تمهيدية جديدة في

التحليل النفسي .

هذه المحاضرات الخمس والثلاثون ، التي تؤلف كلا متكاملًا وتحتوي على أوفى خلاصة للتحليل النفسي بقلم مبدعه ، تنقسم في الواقع ، ومن حيث خطتها وبنائها ، الى اقسام اربعة متميزة :

- ١ - مدخل الى التحليل النفسي ، ويتألف من محاضرة مدخلية ، ومن ثلاث محاضرات حول علم نفس الهفوات .
 - ٢ - نظرية الحلم ، ويتألف من احدى عشرة محاضرة تعرض لنظرية الحلم واوالبته ورمزيته وتفسيره ووظيفته .
 - ٣ - النظرية العامة للأمراض العصابية ، ويتألف من ثلاث عشرة محاضرة تتناول الفارق بين الطب العقلي والتحليل النفسي، وتعرض لنظرية العصاب واوالية تكوين أعراض الأمراض النفسية وطريقة معالجتها .
 - ٤ - محاضرات جديدة في التحليل النفسي ، وهي المحاضرات السبع التي كتبت ولم تلق ، وهي تكمل محاضرات ١٩١٥ - ١٩١٧ وتستوفي بعض نواقصها وتخص ما استجد من تطور في النظرية والتقنية التحليلية النفسية خلال الخمسة عشر عاما المنصرمة .
- هذا التقسيم الرباعي للمحاضرات الخمس والثلاثين هو ما سنتقيد به في نشرنا ترجمتها العربية تباعا في مجلدات اربعة ، وذلك حتى لا نثقل على القارئ بنشرها في مجلد واحد ينيف عدد صفحاته على الثمانمئة .

١٩٨٠-٣-١

ج . ط

المحاضرة الاولى

تمهيد

لست ادري مبلغ ما تنهى الى علمكم من امر التحليل النفسي عن طريق مطالعاتكم او بالسماع . لكن عنوان هذه المحاضرات بالذات : **مدخل الى التحليل النفسي** ، يلزمني بأن اتناول الموضوع كما لو انكم بحاجة الى الإلمام بعناصره الاولى .

على انه لا مناص لي من الافتراض بأنكم تعرفون ان التحليل النفسي طريقة في المعالجة الطبية للأشخاص المصابين بأمراض عصبية . فاذا ما سلمنا بذلك ، امكنني للحال ان أبين لكم من خلال مثال محدد ان الامور لا تسير هنا مسراها في سائر فروع الطب ، هذا ان لم نقل انها تسلك اتجاهها معاكسا . فلقد جرت العادة بناء ، حين نعالج مريضا من المرضى بتقنية طبية جديدة ، هو بها جاهل ، أن نهوّن من محاذيرها وأخطارها في نظره وان نؤكد له ، ما

وسعنا ، حتمية نجاح المعالجة . واعتقد انه من الحق سلوك هذا المسلك ، فبه تزداد فعلا فرص النجاح . لكننا نسلك غير هذا السبيل حين نستخدم التحليل النفسي في معالجة العصابي . فنحن نطلعه في هذه الحال على صعوبات هذه الطريقة وما تقتضيه من زمن وجهود وتضحيات ؛ أما عن النتيجة ، فنقول انه لا يسعنا ان نقطع له بوعد ، وانها مرهونة بمسلك المريض نفسه وبذكائه وصبره وإذعانه لما يطلب منه . وغني عن البيان ان ثمة أسبابا وجيهة - قد تدركون اهميتها لاحقا - تعلي علينا سلوك هذا المسلك غير المألوف .

واني لاستميتكم عدرا ان بدأت بمعاملتكم معاملتي لاولئك المرضى العصبيين . ونصيحتي اليكم الا تأثوا للاستماع إليّ مرة اخرى . ولهذا بالتحديد سآبين لكم كل ما يشوب تعليم التحليل النفسي بالضرورة من نواقص وعيوب ، وكل الصعاب التي تعترض سبيل من يبغى تكوين حكم شخصي في هذا الموضوع . سآبين لكم ان ثقافتكم السابقة كلها وان طرائقكم في التفكير قد جعلت منكم ولا بد خصوما للتحليل النفسي ، وسأوضح لكم ما ينبغي ان تفهروه في انفسكم كيما تغلبوا على هذا العداء الغريزي . ولا يسعني بالطبع ان اتنبأ لكم بما ستفيدونه من محاضراتي هذه من منظور فهم التحليل النفسي واستيعابه ، غير اني استطيع بكل تأكيد ان أعدكم بأن حضوركم هذه المحاضرات لن يكون كافيا لتكسبوا المقدرة على القيام ببحث او بعلاج تحليلي نفسي . وان يكن بينكم من لا يقنع بمعرفة سطحية بالتحليل النفسي ، ومن قد تسول له نفسه ان يعقد وایاه صلة دائمة ، فلن امتنع عن تشجيعه على ذلك فحسب ، بل سأحذره بصورة مباشرة من محاولة كهذه . ذلك ان من يخص باختياره هذه المهنة ، في الظروف الحاضرة ، يكون قد قضى على كل فرصة له في النجاح الجامعي ، وسيجد نفسه ، بصفته طبيبا ممارسا ، وسط معشر لا يفهمون مقاصده ، فيسيئون به الظن ، وينظرون اليه بعين الريبة والعداء ، وقد لا

يترددون في ان يطلقوا ضده كل الارواح الشريرة التي يختزنونها في قمقم انفسهم . ولعله يسعكم ان تكونوا صورة تقريبية عن عدد هذه الارواح الشريرة بمجرد تفكيركم بما يواكب هذه الحرب من وقائع (١) .

ومع ذلك ، فان من الناس من ينجذب الى كل معرفة جديدة ، رغم كل المحاذير التي المعت اليها . فان كان بينكم من ينتمي الى هذه الفئة من الناس ويرغب في القدوم الى هذا المكان ثانية ، من دون ان تثبط تحذيراتي هذه عزيمته ، فأهلا به ومرحبا . لكن من حقكم جميعا ان تحيطوا علما بالصعاب التي تكتنف التحليل النفسي والتي سأعرضها فيما يلي .

تتصل الصعوبة الاولى بطريقة تعليم التحليل النفسي بالذات . فقد اعتدتم ، في دراستكم الطب ، ان تروا وتعاينوا . فأنتم تنظرون النماذج التشريحية ، وترسبات التفاعلات الكيميائية ، وتقلص العضلة بفعل تنبيه أعصابها . وفي وقت لاحق تتصلون مباشرة بالمريض ، وتتقرون اعراض دائه ، وتلمسون عقابيل مرضه ، بل كثيرا ما توضع تحت انظاركم مباشرة ، في حالة منعزلة ، الجرثومة التي تسببت بالمرض . ومن اختص منكم بالجراحة ، حضر العمليات التي تجرى للمريض ، وقد يتوجب عليه ايضا ان يحاول القيام بها بنفسه . وحتى في طب الامراض العقلية ، يمدكم مرأى المريض ، بما يطرا على سحنته من تقلبات وبما يصدر عنه في كلامه وسلوكه ، بجملة من الملاحظات التي تترك في نفوسكم انطبعا عميقا ودائما . على هذا النحو يؤدي مدرّس الطب دور مرشد وترجمان ويرافقكم كما لو عبر متحفا

١ - يقصد الحرب العالمية الاولى ، اذ ان فرويد القى محاضراته هذه في

من المتاحف، فيما انتم تتصلون اتصالا مباشرا بالاشياء وتتصورون انكم اكتسبتم ، بخبرتكم الشخصية، اليقين بوجود الوقائع الجديدة .

من سوء الحظ ان الامور تجري غير هذا المجري في التحليل النفسي . فالمعالجة التحليلية النفسية لا تشتمل الا على تبادل كلام بين المحلل والطبيب . اذ يتكلم المريض ، ويروي احداث حياته الماضية وانطباعاته الحاضرة ، ويتشكى ، ويعترف برغائبه وانفعالاته . ويسعى الطبيب الى توجيه مسار افكار المريض ، ويوقظ ذكرياته ، ويوجه انتباهه في وجهة معينة ، ويقدم له تفسيرات ، ويرصد ما يثيره على هذا النحو لدى المريض من ردود فعل تتمّ عن فهم او عدم فهم . ثم ان اهل مرضانا واقاربهم ، وهم من غير اهل الاختصاص، لا يصدقون الا ما هو منظور وملموس، ولا يقتنعون الا بمثل المشاهد التي تتوالى على شاشة آلة العرض السينمائي ، ولا يمسون عن ابداء تشككهم في نجع طريقته العلاج التي لا تعدو ان تكون محض «كلام بكلام» . وهذا النقد لامنطقي ولا ينمّ عن نباهة . افليس هؤلاء الناس هم انفسهم من يعلمون علم اليقين ان المرضى «يتخيلون» ، ليس الا ، انهم عرضة لما ينتابهم من اعراض ؟ لقد كانت الكلمات في الاصل تدخل في عداد السحر ، ولا تزال الكلمة تحتفظ الى يومنا هذا بقدر كبير من قوتها السحرية الماضية . فبالكلمات يستطيع المرء ان يسعد نظيره او ان يدفع به الى هوة اليأس ، وبالكلمات ينقل المعلم علمه الى تلاميذه ، وبها يستحوذ الخطيب على الباب سامعيه ويوجه احكامهم وقراراتهم . وتثير الكلمات انفعالات، وهي للناس الوسيلة العامة للتأثير في بعضهم بعضا . فلنحاذر اذن ان ننتقص من القيمة التي يمكن ان تكون لاستخدام الكلام في التطبيق النفسي ، ولنعرف كيف ندير آذاننا صاغية لما يدور من كلام بين المحلل والمريض .

لكن ذلك ليس متاحا لنا على كل حال . فالتحادث الذي على

اساسه يقوم التحليل النفسي لا يتحمل وجود سامعين ، ولا يصلح للتمثيل امام شهود . صحيح اننا نستطيع ان نعرض على تلاميذنا، في اثناء درس في الطب العقلي ، مريضا بالنوراستينيا او مصابا بالهستيريا ، فيفصح امامهم عما يشكو منه ويسرد تفاصيل المحلل فلن يفضي بها المريض الا اذا ساوره ازاء الطبيب شعور بعاطفة خاصة ؛ لكنه سيلزم الصمت اذا ما آنس وجود شاهد واحد لا يابه له . وآية ذلك ان هذه المعلومات تتصل بأخص حياة المريض النفسية ، بكل ما يتوجب عليه ، بصفته شخصا اجتماعيا مستقلا بذاته ، ان يخفيه عن الآخرين ، وأخيرا بكل ما لا يريد الاقرار به حتى بينه وبين نفسه ، بوصفه شخصا يعي وحدته . يتعذر عليكم اذن ان تحضروا كمستمعين جلسة للمعالجة التحليلية النفسية . وكل ما يسعكم هو الاستماع الى ما يقال عنها ، ولن يكون في استطاعتكم ان تعرفوا التحليل النفسي الا سماعا ليس الا . وتعذر حصولكم على معلومات الا بطريق غير مباشر يضعكم في شروط غير مألوفة لتكوين حكم . اذ سيكون كل شيء رهنا الى حد بعيد بمدى الثقة التي يوحى بها اليكم من يزودكم بالمعلومات .

تخليلوا لهنيهة من الزمن انكم تستمعون ، لا الى محاضرة في الطب العقلي ، بل الى محاضرة في التاريخ ، وان المحاضر يحدثكم عن حياة الاسكندر الاكبر وفتوحاته . فما الاسباب التي ستحملكم ، والحالة هذه ، على تصديق صحة ما يرويه ؟ للوهلة الاولى ، يبدو ان الوضع اشد حرجا مما في التحليل النفسي ، على اعتبار ان استاذ التاريخ لم يشارك ، مثله مثلكم ، في حملات الاسكندر ، بينما يحدثكم المحلل النفسي على كل حال عن وقائع لعب فيها هو نفسه دورا . لكن هنا يطرا عامل يوجب عليكم محض المؤرخ ثقتكم . اذ يسهل ان يحيلكم الى روايات قدامى الكتاب ، ممن عاصروا الاحداث المشار اليها ، او كانوا قريبا اليها في الزمن ،

اي الى كتب بلوتارخوس (٢) وديودورس (٣) واريانس (٤) ، الخ ؛ كما يسعه أن يعرض عليكم نسخا من النقود او من تماثيل الملك ، وصورة فوتوغرافية لفسيفساء مدينة بومباي التي تمثل موقعة ايسوس (٥) . والحق أن هذه الوثائق جميعها تثبت فقط ان اجيالا سابقة قد آمنت بوجود الاسكندر وبحقيقة فتوحاته ، وهذه مسألة قد تكون لكم بمثابة منطلق جديد الى ممارسة نقدكم . اذ قد تجدون في انفسكم ميلا الى الاستنتاج بأن كل ما روي عن الاسكندر ليس اهلا للتصديق او انه لا يمكن القطع بيقين بصدد تفاصيله كافة ؛ ومع ذلك لا أتصوركم مغادرين قاعة المحاضرات وانتم تشكون في ان الاسكندر الاكبر قد وجد فعلا وواقعا . وقراركم سيعينه اعتباران رئيسيان : أولهما ان المحاضر ليس لديه من سبب معقول يحمله على اقناعكم بواقعية شيء لا يؤمن هو نفسه بواقعيته ، وثانيهما ان جميع كتب التاريخ التي بين أيدينا تعرض الاحداث عرضا شبه متطابق . فاذا تنطعتم بعد ذلك لتححيص اقدم المراجع ، اخذتم باعتباركم العاملين نفسيهما ، أعني الدوافع التي أملت على الكتاب ما كتبوه ، وتوافق شهاداتهم .

-
- ٢ - بلوتارخوس : كاتب اغريقي (نحو ٥٠ - ١٢٥) ، عاش في روما وجال في الشرق ، كتب كتبا كثيرة ، ومن اشهرها **سير العظماء** . -م-
- ٣ - ديودورس الصقلي : مؤرخ اغريقي من القرن الاول ق.م ، مؤلف **الكتبة التاريخية** ، وفيها يسرد وقائع التاريخ منذ العصور السحيقة وانتهاء بالعام ٦٠ ق.م . -م-
- ٤ - فلافيوس اريانس : مؤرخ اغريقي من القرن الثاني ب.م ، له كتاب **تاريخي عن الاسكندر المقدوني** . -م-
- ٥ - ايسوس : مدينة قديمة في آسيا الصغرى في كيليكيا ، قهر الاسكندر فيها داربوس الثالث سنة ٣٣٣ ق.م . -م-

وفي حالة الاسكندر ستكون نتيجة الامتحان ايجابية بكل تأكيد ، لكنها قد لا تكون كذلك في حالات غيره من الشخصيات من امثال موسى او نمرود (٦) . أما مدى الثقة التي يستأهلها تقرير محلل من المحللين النفسيين ، فستتاح لكم لاحقا اكثر من فرصة لتبرير الشكوك التي قد تساوركم بهذا الخصوص .

من حقكم الان ان تسألوني : اذا لم يكن ثمة من معيار موضوعي للفصل في صحة ما يقوله التحليل النفسي ، واذا لم يكن ثمة من امكانية لاتخاذ موضوعا للتجريب ، فكيف السبيل الى تعلم التحليل النفسي والتحقق من صحة مدّعاؤه ؟ بالفعل ، ما هذا التعلم بسهل ، وقليلون هم من تعلموا التحليل النفسي بصورة منتظمة ، لكن هذا لا يعني انه ليس ثمة من سبل ومداخل الى هذا التعلم . فالمرء يتعلم التحليل النفسي اولا بتطبيقه على نفسه ، وبدراسته شخصيته الخاصة . وليس هذا على وجه الدقة ما يسمى بالتأمل الذاتي ، ولكننا نستطيع عند الاقتضاء ان نرد اليه الدراسة التي نحن بصدد الكلام عنها . وثمة طائفة من ظاهرات نفسية متواترة ومعروفة للكثرة يمكن ان تتخذ موضوعا لتحليل الذات متى ما عرف الانسان شيئا عن أواليتها . وعن هذا السبيل يتأتى له ان يظفر بالاقتناع المنشود بحقيقة السيرورات التي يصفها التحليل النفسي وبصحة تصوراتهِ . غير انه يجدر بنا التنويه بأنه ليس للانسان ان يتوقع ، اذا ما سلك هذا السبيل، احراز تقدم كبير . بل هو سيحرز تقدما اكبر بكثير فيما لو وضع نفسه تحت تصرف محلل كفؤ ليقوم بتحليله ، وفيما لو رصد في

٦ - نمرود : ملك خرافي تأتي بذكره كثرة من الاساطير العربية والفارسية التي تجعل منه مؤسس مملكة بابل ، ويعرفه سفر التكوين بأنه ابن كوش بن حام . -م-

انه بالذات اثر التحليل النفسي واهتبل هذه الفرصة ليستوعب تقنية هذه الطريقة بجميع دقائقها . وغني عن البيان ان هذا النهج الممتاز لا يمكن لغير شخص واحد ان ينهجه ، فلا سبيل الى تطبيقه على جمع من الناس .

اما الصعوبة الثانية التي تعترض سبيلكم الى التحليل النفسي فلا تتصل به بقدر ما تتصل بكم ، انتم انفسكم ، بحكم دراساتكم الطبية السالفة . فالتعليم الذي تلقيتموه حتى الان وجهه فكركم في اتجاه معين يباعد الشقة كثيرا بينكم وبين التحليل النفسي . فقد עודوكم على عزو علل تشريحية الى وظائف الجسم واضطراباتهما ، وعلى تفسيرها على ضوء الكيمياء والفيزياء ، وعلى تصورها من المنظور البيولوجي ، ولم يوجهوا اهتمامكم قط الى الحياة النفسية التي فيها يبلغ اداء جسمنا - العجيب التعقيد - لوظائفه اوجه وذروته . ولهذا انقطعت الاسباب بينكم وبين الطريقة السيكلوجية في التفكير ، ولهذا ايضا درجتم على النظر الى هذه الطريقة بعين الريبة ، فانكرتم عليها كل صفة علمية وتركتم امرها لغير اهل العلم وللشعراء وفلاسفة الطبيعة والمتصوفة . وهذا الانحداد ضار بكل تأكيد بمهنتكم الطبية ، لان المريض يعرض عليكم ، اول ما يعرض ، كما هي الحال في جميع العلائق الانسانية ، واجهته النفسية ، واني لآخشي ان تكون عاقبة ذلك اضطراكم لان تدرؤا لغير اهل العلم والمبرئين والمتصوفة ، الذين لا تنظرون اليهم الا بعين الازدراء ، جانبا غير هيئن من التأثير العلاجي الذي تسعون الى ممارسته .

لست اجهل الاسباب التي قد تساق لتبرير هذه الثغرة في تدريسكم . ولئن ما زال يموزنا شيء فهو ذلك العلم الفلسفي المساعد الذي يمكن ان يعينكم على تحقيق الغايات التي ترسمها مهنة الطب . فلا الفلسفة التأملية ، ولا علم النفس الوصفي ، ولا علم النفس المسمى بالتجريبي وذو الصلة بفيزيولوجيا الحواس ،

لا شيء من هذه جميعها ، كما تدرّس في المدارس ، حقيق بأن
بمدكم بمعطيات مفيدة حول العلاقات بين الجسم والنفس وقمين
بأن يهديكم الى طريق فهم اضطراب من الاضطرابات النفسية .
صحيح ان طب الامراض العقلية يهتم ، في اطار الطب بالذات ،
بوصف الاضطرابات النفسية التي يرصدها ، وبجمعها في لوحات
سريرية ، لكن اطباء الامراض العقلية انفسهم يتساءلون في لحظات
صفوهم عما اذا كانت تصانيفهم الوصفية البحتة جديرة باسم
العلم . اننا لا نعرف لا اصل الاعراض التي تتألف منها تلك
الجدول التصنيفية ، ولا اوالياتها ، ولا روابطها المتبادلة ؛ وليس
ثمة من علاقة يمكن البرهنة عليها بينها وبين اي تبدل يطرأ على
جهاز النفس التشريحي (٧) ؛ وأما التغيرات التي يتذرع بها فهي
لا تقدم اي تفسير للاعراض . والحق ان هذه الاضطرابات النفسية
لا تخضع لأي مجهود علاجي الا بقدر ما تؤلف فقط نتائج ثانوية
لاصابة عضوية ما .

ان هذه لثغرة يسمى التحليل النفسي الى ردمها . فهو يريد
ان يوفر لطب الامراض العقلية الاساس السيكلوجي الذي يفتقر
اليه ، ويأمل ان يكتشف المضمار المشترك الكفيل بتعليل الترابط
بين الاضطراب البدني والاضطراب النفسي . وتوصلا الى هذا
الهدف ، عليه ان يبتعد عن كل مسئلة ذات صفة تشريحية او
كيمياوية او فيزيولوجية ، والا يعوّل في عمله الا على مفاهيم
سيكلوجية بحتة . ولهذا تحديدا اخشى ان يبدو لكم لاول وهلة
غريبا .

اخيرا ثمة صعوبة ثالثة لن اقي تبعثها لا عليكم ولا على
تدريسكم السابق . ذلك ان من جملة مقدمات التحليل النفسي

مقدمتين تثيران سخط الناس أجمعين وتجلب عليه الاستنكار العام : مقدمة تصطدم بحكم مسبق فكري ، وأخرى بحكم مسبق جمالي - أخلاقي . ولنحاذر الاستهانة بهذه الأحكام المسبقة : فهي على جانب من القوة ، وقد تخلفت عن أطوار مفيدة ، بله ضرورية ، من تطور البشرية . وهي ترتكز الى قوى وجدانية ، والنضال ضدها صعب وشاق .

ان السيورات النفسية ، بموجب أولى مقدمتي التحليل النفسي المثيرتين للاستهجان ، هي في جوهرها لاشعورية ؛ وأما الشعورية منها فلا تعدو ان تكون أفعالا منعزلة ، شذرات من الحياة النفسية الشاملة . وعليكم ان تتذكروا هنا اننا درجنا ، على العكس ، على الماهاة بين النفسي والشعوري ، واننا نعتبر على وجه التعمين ان الشعور هو سمة النفسي المميزة وتعريف له ، وأن قوام علم النفس في نظرنا هو دراسة مضامين الشعور. بل ان هذه الماهاة تبدو لنا طبيعية للغاية ، حتى لنعدّ كل اعتراض عليها ضربا من العبث الذي لا طائل فيه . ومع ذلك لا يمكن للتحليل النفسي الا ان يعترض على الماهاة بين النفسي والواعي والشعور. فهو يعرف النفسي بأنه يتألف من سيورات تدخل ضمن نطاق الشعور والفكر والارادة؛ ولا مناص له من ان يؤكد ايضا وجود فكر لاشعوري واردة لاشعورية. لكنه اذ يتقدم بهذا التعريف وهذا التوكيد يخسر سلفا عطف جميع اصدقاء الوقار العلمي ، ويجرّ على نفسه الشبهة بأنه محض علم باطني وخيالي يريد ان يبني في الظلام وان يصطاد في الماء العكر . لكن لا يسعكم بعد بطبيعة الحال ان تفهموا بأي حق أطلق صفة الحكم المسبق على عبارة مجردة كتلك التي تقول ان «النفسي هو الشعوري»، كما لا يسعكم بعد ان تدرکوا طبيعة الاستدلال الذي امکن له ان يفضي الى نفي اللاشعور (على فرض انه موجود) وأن تحزروا فوائد مثل هذا النفي . وقد يبدو لكم الجدل فيما اذا كانت المطابقة بين النفسي والشعوري واجبة، ام

فيما اذا كان من الضروري توسيع مدى النفسي الى ما وراء حدود الشعور ، ضربا من السفسطة والمحاكة لا طائل فيه، لكن بوسعي ان اؤكد لكم ان الاعتراف بالسيورات النفسية اللاشعورية يدشن اتجاهها جديدا وفاصلا في العلم .

لا اخالكم ايضا تحزرون الصلة الوثيقة القائمة بين هذه الخطوة الجريئة الاولى التي خطاها التحليل النفسي وبين الخطوة التالية التي سأعرض لها الان . فالاطروحة الثانية التي يتقدم بها التحليل النفسي على انها اكتشاف من اكتشافاته تؤكد ما يلي : ان الحفزات التي يمكن وصفها بأنها محض جنسية ، بالمعنى الضيق او الواسع للكلمة ، تلعب ، بصفتها عللا محدّدة للأمراض العصبية والنفسية، دورا فائق الاهمية ، لم يقدّر حتى يومنا هذا حق قدره . بل اكثر من ذلك : فالتحليل النفسي يؤكد ان هذه الميول الجنسية عينها تسهم بقسط لا يستهان به في ابداعات العقل البشري في ميادين الثقافة والفن والحياة الاجتماعية .

وبحسب خبرتي ، فان النفور الذي تشيره هذه النتيجة التي ينتهي اليها التحليل النفسي هو أهم سبب للمقاومات التي يصطدم بها . فهل لكم رغبة في معرفة كيف نفسر هذه الواقعة؟ اننا نعتقد ان الثقافة قد ابدعت تحت ضغط الضرورات الحيوية وعلى حساب تلبية الغرائز ، وانها يعاد خلقها دوما من جديد على المنوال نفسه الى حد بعيد ، اذ يقوم كل فرد جديد يرى النور في المجتمع البشري بتكرار التضحية بغرائزه لصالح المجموع . وتحتل الميول الجنسية ، بين جملة القوى الغريزية المكبوح جماحها على هذا النحو ، مكانة بارزة ؛ فهي تعلو وتصعد ، أي انها تحوّل عن هدفها الجنسي وتوجّه نحو اهداف اجتماعية اعلى لا تتصف بأية صفة جنسية . غير ان هذا التنظيم ليس بالمكين ؛ فالغرائز الجنسية يعسر ترويضها ، وكل فرد يسهم في البناء الثقافي يكون عرضة لان تتمرد غرائزه الجنسية على هذا الكبت .

ولا يرى المجتمع من خطر يهدد حضارته اعظم من خطر انعتاق الفرائز الجنسية ورجعتها الى اهدافها الاولى . لذا لا يطيب للمجتمع ان يذكره احد بهذا الجانب الحساس من الاسس التي يقوم عليها وجوده ؛ ولا مصلحة له على الاطلاق في الاعتراف بقوة الفرائز الجنسية وفي اماطة اللثام لكل فرد عن اهمية الحياة الجنسية ؛ وقد اخذ ، على العكس ، بنهج في التربية يصرف الانتباه عن هذه الناحية . ولهذا لا يتحمل ولا يطبق تلك النتيجة التي انتهى اليها التحليل النفسي والتي نحن بصدد الكلام عنها ؛ ويبادر الى وصفها بأنها مثيرة للاشمئزاز من وجهة النظر الجمالية، وبأنها مردولة مذمومة من وجهة النظر الاخلاقية ، علاوة على خطورتها من كل النواحي الاخرى . لكن ليس بمثل هذا التأنيب والتعنيف يمكن اسقاط النتائج الموضوعية التي ينتهي اليها البحث العلمي . وحتى يكون الاعتراض مقبولا ، فلا بد ان ينقل الى صعيد الفكر . والحال ان الطبيعة البشرية مجبولة على اعتبار ما لا تستسيغه ظلما وجورا . ومن ثم لا يشق عليها ان تجد حججا تبرر بها نفورها واشمئزازها . وعلى هذا النحو ينقلب ما هو مستكره في نظر المجتمع الى باطل ، ويحارب هذا المجتمع عينه حقائق التحليل النفسي لا بحجج منطقية وعينية ، بل بدرائع وتعلات يستقيها من معين العاطفة والهوى ، ويتشبث بهذه الاعتراضات ويشهرها احكاما مسبقة ردا على كل من تسوّل نفسه له تفنيدها .

ويجدر بي ان الفت انتباهكم الى اننا حاذرنا الإغراض فسي صياغتنا هذه الاطروحة . وقد كان هدفي الاوحد ان أعرض حقيقة واقعة ننصّر انه امكن لنا الاحاطة بها بعد بحث شاق ومضن . ويخيل اليّنا انه من واجبنا ، هذه المرة ايضا ، ان نحتج على اية محاولة لزوج الاعتبارات العملية في شؤون البحث العلمي ، حتى قبل ان نتحقق مما اذا كانت تلك المخاوف التي باسمها يراد فرض

تلك الاعتبارات علينا مبررة ام لا .
تلكم هي بعض الصعاب التي قد تصطدمون بها اذا ما اردتم
دراسة التحليل النفسي . ولعلها اكثر مما يطيقه مبتدئ . فان
لم تتهيبوا من احتمال مواجهتها ، امكننا ان نمضي في ما
نحن فيه .

المحاضرة الثانية

الهفوات

لن نبدأ اليوم بفروض ، بل ببحث موضوعه جملة من ظاهرات شائعة ، متواترة ، لا تعار اهتماما كافيا ، ولا ضلع لها بالحالة المرضية ، اذ نستطيع ان نلاحظها لدى كل انسان معافى . انها الظاهرات التي سنطلق عليها اسم جنس : **الهفوات** ، والتي تحدث عندما ينطق المرء او يكتب ، عن انتباه او بدون انتباه ، كلمة غير تلك التي كان يريد ان ينطق بها او يكتبها (**ذلة**) ؛ او عندما يقرأ ، في نص مطبوع او مخطوط ، كلمة غير تلك التي هي مطبوعة او مسطورة (**قراءة مفلوطة**) ؛ او عندما يسمع شيئا هو غير ما يقال له ، من دون ان يكون مرد هذا **السمع المفلوط** الى خلل عضوي فسي حاسة السمع . وثمة طائفة اخرى من هذه الظاهرات عينها اساسها **النسيان** ، على ان يكون معلوما ان هذا النسيان مؤقت ،

لا دائم ، كما عندما يتعذر على المرء تذكر اسم يعرفه حق المعرفة ولا يلبث ان يهتدي اليه فعلا في وقت لاحق ، او كما عندما ينسى الانسان تنفيذ عزم ثم لا يهتم ان يتذكره لاحقا ، فيكون بذلك قد سها عنه لحين من الزمن ليس الا . وثمة طائفة ثالثة من الظاهرات لا تتسم بهذا الطابع المؤقت ، كما عندما لا يوفق واحدنا ، مثلا ، الى العثور على شيء كان قد حفظه في مكان ما ؛ وتدخل في هذا الباب شتى حوادث تضييع الاشياء . وهذه ضروب من النسيان ندهش لها ونغتاظ لحدوثها ، ولا نملك لها فهما . وتتصل بهذه الحالات بعض الاخطاء التي يتجلى فيها من جديد الطابع المؤقت ، كما عندما نؤمن لحين من الزمن بأشياء كنا نعرف سابقا وسنعرف من جديد لاحقا انها ليست كما نتصورها . وبوسعنا ، اذا شئنا ، ان نضيف الى جميع هذه الحالات جملة من ظاهرات مماثلة ، تعرف بأسماء شتى .

وجميع هذه الحوادث تتصل فيما بينها بصلة قربى وثيقة تتجلى في ان جميع الالفاظ التي تفيد في الدلالة عليها بالالمانية تبدأ كلها بالسابقة Ver (١) . وهي جميعها حوادث لا تتصف بالاهمية ، ولا تدوم الا لمدة قصيرة في اغلب الاحيان ، وليس لها دور كبير في حياة الناس . ونادرا ما يتسم بعضها باهمية عملية، كما في حال تضييع الاشياء . ولهذا لا توظف الاهتمام ، ولا تشير الا انفعالا واهنا ، الخ ..

١ - على سبيل المثال : Ver - Sprechen (قناة لسان) ، Ver - Lesen (قراءة ملفوظة) ، Ver - Horon (خطأ في السمع) ، Ver - Legen (تعذر العثور على شيء يمد وضعه في مكان ما) ، الخ . وهذه تعابير لا مقابل لفظي لها في العربية او في اللغات اللاتينية ، وقد ترجم بعضهم الهفوات بمصطلح «الافعال المحبطة» . -م-

هذه الظاهرات هي ما أريد ان أحدثكم عنه . غير اني اسمعكم
تبدون من الان تأفكم واعتراضكم : «ان العالم الخارجي الفسيح،
وكذلك عالم الحياة النفسية الاقل فساحة، حافل بالالغاز العظيمة،
ومضمار الاضطرابات النفسية زاهر بالاشياء المدهشة التي
تطلب وتستأهل تفسيراً ، فما الجدوى من هدر وقتنا في الانكباب
على مثل هذه السفساف ؟ لو كان بوسعك ان تفسر لنا كيف تؤول
الحال بانسان سليم البصر والسمع الى ان يرى في وضع النهار
ويسمع اشياء لا وجود لها ، ولماذا يتراءى لفلان من الناس على
حين بفتة ان اولئك الذين يحبهم ويقدمهم في المعزة على سواهم
انقلبوا عليه يضطهدونه ويكيدون له ، او لماذا يلاحق اوهاما لا
يعجز حتى الطفل عن ادراك ما فيها من هراء وعيب ، لو كان ذلك
في مقدورك لقلنا ان التحليل النفسي يستأهل عناء دراسته . اما
اذا كان كل ما يقدر عليه التحليل النفسي هو البحث عن السبب
الذي جعل خطيباً في مادبة ينطق يوما بكلمة بدل اخرى ، او لماذا
تعجز ربة البيت عن العثور على مفاتيحها ، وغير ذلك من
السفساف ، فاننا نصارحك القول ، والحالة هذه ، بان ثمة
معضلات اخرى هي بوقتنا واهتمامنا اجدر . »

وجوابي عليكم في هذه الحال : «صبرا ! ان تقدمكم لا يقوم على
اسس سليمة . صحيح ان التحليل لا يستطيع ان يتباهى بأنه لم
يول السفساف اهتمامه قط ؛ فمواد ملاحظاته يستمدّها عادة من
تلك الوقائع غير اللافتة للنظر التي تصدف عنها العلوم الاخرى
وتعدها مما لا يعتدّ به ، ويستقيها من نفايات عالم الظواهر .
لكن الا تخلطون في تقدمكم بين اهمية المشكلات وبين ظاهرها
علاماتها ؟ اليس ثمة اشياء هامة لا تتظاهر ، في بعض الظروف
وفي بعض الاحيان ، الا من خلال علامات طفيفة غير ذات شأن ؟
وليس اسهل عليّ من ان أضرب لكم طائفة من الامثلة على مثل
هذا الوضع . افلا تستدلون من علامات تكاد لا تقع تحت حس
انكم ، وانتم على ما انتم عليه من شباب وفتوة ، قد حزتم رضى

هذه الفتاة او تلك ؟ وهل تنتظرون ، كيما تعرفوا ذلك ، تصريحاً سافراً من جانبها ، او مبادرتها الى معانقتكم بحرارة ؟ الا تكتفون ، على العكس ، بنظرة خاطفة ، او بإيماء عابرة ، او بمصافحة اطول بقليل من المعتاد ؟ وحين تقومون ، بصفتكم قضاة ، بتحقيق في جريمة قتل ، فهل تنتظرون ان يترك لكم القاتل صورته الشمسية في مكان الجريمة ، وعليها عنوانه ، ام تراكم تضطرون الى القناعة بآثار طفيفة وعديمة الاهمية بحد ذاتها ، للتوصل الى معرفة هوية المجرم ؟ خليق بنا اذن الا نزدري العلامات الصغيرة : فقد تهدينا الى اشياء اجلّ شأنها واعظم اهمية . ثم اني ارى كما ترون ان مشكلات العالم والعلم الكبرى هي التي ينبغي ان تستأثر باهتمامنا كله . غير انه لا جدوى ، في كثير من الاحيان ، من عقد المرء العزم على تكريس جهده لدراسة هذه المشكلة الكبيرة او تلك ، اذ انه لن يدري في هذه الحال في اي اتجاه ينبغي ان يوجه خطاه . والاقرب الى الصواب والعقل في البحث العلمي ان يتصدى المرء لما يلفاه امامه ، لمواضيع تعرض نفسها من تلقاء نفسها لبحثه وتنقيبه . فان فعل ذلك بجد ، بدون افكار مسبقة ، وبدون آمال مسرفة ، وان واتاه نصيب من الحظ ، فقد يفتح عمله الذي شرع به بلا ادعاء او تبجح الطريق الى دراسة المضلات الكبرى ، وذلك لما بين الاشياء كلها ، صغيرها وكبيرها ، من روابط ووشائج .

هذا ما كان عليّ ان اقله لكم حتى ابقى انتباهكم متيقظاً ساعة اشرع بالكلام عن تلك الهفوات العديمة الاهمية في الظاهر والتي تصدر عن اسوياء الناس . وهنا نتوجه بخطابنا الى امرىء لا معرفة له على الاطلاق بالتحليل النفسي ، لنسأله ان يفسر لنا حدوث هذه الامور .

من المؤكد انه سيجيبنا بادىء الامر بقوله : «هذه اشياء لا تستأهل اي تفسير ؛ فهي حوادث تافهة» . ترى ماذا يعني بقوله هذا ؟ اتراه يزعم ان ثمة أحداثاً لا يعتد بها ، وانها لا تخضع لترابط

العالم الفينومينولوجي ، وانه كان من الممكن ان تحدث والا تحدث على حد سواء ؟ لكننا لو حططنا الحتمية الكونية ، ولو في نقطة واحدة من نقاطها ، نكون قد قلبنا رأسا على عقب كل التصور العلمي للعالم . وعلينا في هذه الحال ان نبين لصاحبنا انه حتى التصور الديني للعالم اكثر تماسك منطق حين يؤكد بعبارة لا لبس فيها ان العصفور الدوري لا يسقط من عشه في السقف الا بتدخل مقصود من المشيئة الالهية . وهنا اتصور صديقنا يمسك عن استخلاص النتيجة التي تترتب على جوابه الاول ، ويعدل رأيه ، ويصرح قائلا انه لو انكب على دراسة هذه الاشياء لوجد لها بسرعة تفسيراً . فلا بد انها اختلالات وظيفية زهيدة ، او اضطرابات بسيطة في النشاط النفسي يمكن بسهولة تحديد شروطها . فالمرء الذي ينطق نطقا سليما بوجه عام يمكن ان يخطئ في الكلام :

١ - متى كان متوَعك الصحة او متعبا ؛ ٢ - متى كان مهتاجا ؛ ٣ - متى كان مستغرقا في أمور اخرى . وإثبات هذه التوكيدات ليس بالمسير . ففلتات اللسان كثيرة الحدوث متى كان الانسان متعبا ، او به صداع ، او على وشك ان تأخذه نوبة من نوبات وجع الرأس . وفي ظروف مشابهة يحدث للانسان ان ينسى أسماء الاعلام . وكثيرون من الاشخاص يحدسون بأزوف نوبة الصداع لمجرد وقوعهم في مثل ذلك النسيان . كذلك ، عندما يكون المرء فريسة الاهتياج فكثيرا ما تختلط عليه الاسماء والمسميات ، فيغلط ويخطئ ؛ وأكثر ما يكون نسيانه ما نوى القيام به من أفعال او قيامه بأفعال ما كان في نيته القيام بها ساعة يأخذه السهو والغفلة ، أي ساعة يكون انتباهه مركزا على شيء آخر . ومن الامثلة المعروفة على مثل هذا السهو والغفلة مثال الاستاذ في مغناة الاوراق الطائرة عندما ينسى مظلمته ويأخذ قبعة غير قبعته لانه كان مستغرق الفكر في المشكلات التي سيعالجها في كتابه التالي . أما المشاريع التي يعقد عليها العزم والوعود التي يتقطع بها العهد ، ثم لا تلبث ان تنتسى لان أحداثا قد

استجذت وحولت الانتباه على حين غرة في وجهة اخرى ، فليس اسهل من ان يجد واحدا امثلة وفيرة لها في تجربته الخاصة .
قد يبدو لكم هذا واضحا مفهوما وبمئأى عن كل اعتراض .
وقد لا يكون على جانب كبير من الطرافة ، او على الاقل ليس بالقدر السذي كنا نتوقعه . فلننعم النظر اذن في هذه التفاسير للهفوات . فالشروط التي يفترض توفرها لحدوثها ليست جميعها من طبيعة واحدة . فتوَعك الصحة واضطراب الدورة الدموية لهما دورهما كأسباب فيزيولوجية في الاختلال الذي قد يصيب الوظيفة السوية ؛ بينما الاهتياج والتعب والسهو عوامل من نوع آخر ، ويصح وصفها بأنها نفسية - فيزيولوجية . ومن السهل ترجمة هذه العوامل الاخيرة الى نظرية . فالتعب ، والسهو ، وربما ايضا التهيج العام ، تشتت الانتباه ، فلا تعود الوظيفة المعنية تتلقى قدرا كافيا من الانتباه ، فيطرا عليها بسهولة خلل او يتعذر ادائها بالدقة المطلوبة . وقد يكون لانحراف الصحة او لتغير الدورة الدموية هذا المفعول عينه ، اذ يؤثران بالكيفية نفسها على العامل الحاسم والاهم ، اي توزع الانتباه . اذن فهي في كل الاحوال ظاهرات متأتية عن اضطرابات في الانتباه ، سواء انشأت هذه الاضطرابات عن اسباب عضوية ام عن اسباب نفسية .

غير ان هذا كله ليس من شأنه ان يحفز اهتمامنا بالتحليل النفسي ، وقد يكون لا تزال بنا رغبة في نفص ايدينا من هذا الموضوع . والحال اننا لو دققنا النظر في هذه الملاحظات تدقيقا اكبر ، لتبين لنا ان الهفوات لا تتمشى كلها مع نظرية الانتباه هذه ، او انها على الاقل ليست قابلة جميعها للاستنتاج من هذه النظرية مباشرة . وسنلاحظ بوجه خاص ان هفوات ونسيانات تحدث ايضا لدى اشخاص ليسوا بمتعبين او ساهين او مهتاجين ، بل في حالة سوية من جميع الوجوه ، اللهم الا اذا عزونا الى هؤلاء الاشخاص ، وعلى وجه التحديد بسبب الهفوة التي صدرت

عنهم ، حالة من الاهتياج يأبون هم التسليم بها . ولا يخلو الامر من نزعة الى التبسيط لو زعمنا ان زيادة الانتباه قمينة بتنفيذ محكم لوظيفة من الوظائف ، وان نقصان الانتباه تترتب عليه بالتالي نتيجة معاكسة . فكثيرة هي الاعمال التي ينفذها المرء بصورة آلية أو بانتباه غير كاف ، من دون ان يضر ذلك بإحكامها . فالمتنزه ، الذي لا يكاد يدري أين مقصده ، يسلك على كل حال الطريق الصحيح ويصل الى غايته بلا تردد . وعازف البيانو المدرب يضغط بأصابعه على الملامس الصحيحة من دون تفكير بها . صحيح أنه قد يتفق له أن يخطئ ، لكن لو كان من شأن العزف الآلي أن يزيد من احتمال الوقوع في الخطأ ، لكان البارع بين العازفين هو اكثرهم عرضة للوقوع في الخطأ على اعتباره ان عزفه أمسى بعد طول تدريب آلياً صرفاً . وانه ليتبين لنا ، على العكس ، ان الكثير من الافعال تؤدي بتوفيق كبير حينما لا تكون موضوع انتباه خاص ، وان الغلط قد يقع على وجه التحديد حينما يحرص المرء أشد الحرص على الاداء الأمثل ، اي حينما يكون الانتباه مشدوداً اليه كله . وقد يقول قائلنا عندئذ ان الغلط جاء نتيجة «التهيج» . ولكن لم لا يكون هذا التهيج قمينا بالاحرى بتركيز الانتباه على العمل الذي يحيطه المرء بكل اهتمامه ؟ فحين يسزل بالانسان لسانه في اثناء خطاب هام او تفاوض وينطق بعكس ما كان يريد قوله ، فانه يرتكب خطأ يعسر علينا تفسيره بالنظرية النفسية - الفيزيولوجية او بنظرية الانتباه .

ان الهفوات نفسها تصاحبها طائفة من ظواهر ثانوية صغيرة تعصى على الفهم ولا تزيدها التفاسير المعتمدة حتى الان قابلية للفهم . فحين ينسى الانسان على سبيل المثال كلمة من الكلمات بصورة مؤقتة ، نراه يضيق ذرعاً ، ويبدل قصاره ليتذكر الكلمة ، ولا يقر له قرار ما لم يهتد اليها . فلم لا يفلح ، رغم تلهفه وتحرقه ، الا فيما ندر في تركيز انتباهه كله على الكلمة التي يقول هو نفسه انها «على طرف لسانه» ، والتي يستذكرها حالما يتلفظ بها احدهم

امامه ؟ كما ان هناك حالات اخرى تتضاعف فيها الهفوات وتتكاثر، ويتشابك بعضها ببعض ، ويقوم بعضها مقام بعض . فقد ينسى المرء ، في مرة اولى ، موعدا ؛ وفي المرة الثانية ، وبعد ان يكون قد عزم على الا ينساه ابدا ، يكتشف انه قد اخطأ في تسجيل الساعة المضروبة له . وقد يسمى احدا بكل ما اوتيه من حيلة الى ان يتذكر كلمة منسية ، فاذا بكلمة ثانية تفلت من ذاكرته مع انها كان يمكن ان تفيده في استحضار الاولى ؛ واذا يشرع بالبحث عن هذه الكلمة الثانية ، ينسى الثالثة ، وهكذا دواليك . ومثل هذه المضاعفات قد تحدث ايضا ، كما نعلم ، في الاخطاء الطبعية التي يمكن اعتبارها هفوات يقع فيها منضد الحروف في المطبعة . وقد وقعت في مثل هذا الغلط المعاند صحيفة اشتراكية-ديموقراطية. فقد جاء يوما في تعليق لها على تظاهرة ما : «وكان بين الحضور سمو ولي العهد» (بدلا من ولي العهد) . وفي اليوم التالي ، ارادت الصحيفة تصحيح خطأها والاعتذار عنه ، فكتبت تقول : «كنا نقصد بطبيعة الحال ولي العهد» (هذه المرة ايضا بدلا من ولي العهد) (٢) . ويطيب لبعضهم في مثل هذه الاحوال ان يتكلم عن روح شرير يتحكم بالاختاء الطبعية ، عن عفريت صندوق الحروف ، وكلها تعابير تتجاوز ، في مداها ، النظرية النفسية - الفيزيولوجية عن الخطأ الطبيعي .

لعلكم تعلمون ايضا ان فلتات اللسان يمكن استحداثها بالايحاء ، نوعا ما . وثمة نكتة حول الموضوع : فقد عهد يوما الى ممثل ناشئ في **عنراء اورليان** (٣) بإبلاغ الملك في موقف جدي من

٢ - نترجم هنا روح الهفوة ، لا لفظها . وهذا ما سنفعله في كل الامثلة

المشابهة . -م-

٣ - مسرحية لشيلر استوحاها من حياة جان دارك . -م-

مواقف المسرحية بأن القائد العام يرد اليه سيفه . والحال ان احد الممثلين الثانويين اراد اثناء التمرين ان يعاين الممثل المبتدىء ، فلقننه العبارة محرفة على النحو التالي : ان القواد يرد ضيفه . ويبدو ان هذا المزاج الثقيل اصاب هدفه : فقد نطق الممثل التعيس الحظ فعلا بالعبارة المحرفة كما هي اثناء التمثيل الفعلي ، وهذا بالرغم من التحذيرات التي تلقاها بهذا الخصوص ، او ربما بسبب هذه التحذيرات بالذات .

والحال ان جميع هذه الخصائص الطفيفة المميزة للهفوات غير قابلة للتفسير بنظرية الانتباه المحوّل . غير ان هذا لا يعني ان هذه النظرية خاطئة . ولعلها بحاجة الى تكملة كيما تكون مرضية ومقبولة تماما . على ان الكثير من الهفوات يمكن النظر اليها ، مع ذلك ، من وجهة نظر مغايرة .

لنتأمل من الهفوات تلك التي تلائم غرضنا اكثر من سواها : فلتات اللسان . ولقد كان يسعنا ان نختار بدلا منها اغلاط الكتابة او القراءة . وبهذا الصدد ، يجب الا يغيب عن بالنا ان السؤال الوحيد الذي طرحناه حتى الان هو متى وفي اية شروط يفلت اللسان ، واننا لم نفرز بجواب الا عن هذا السؤال وحده . لكن من الممكن ان ننظر في الشكل الذي تتلبسه الفتلة ، والاثر الذي ينجم عنها . وانتم تدركون ولا بد اننا ما لم نجب عن هذا السؤال الاخير ، وما لم نفسر الاثر الذي يتأتى عن الفتلة ، فستظل هذه الظاهرة حادثة عارضا من وجهة النظر السيكلوجية ، وحتى لو وجدنا لها تفسيرها الفيزيولوجي . وبدهي ان فتلة اللسان التي تصدر عني يمكن ان تتلبس الف شكل وشكل ؛ فمن الممكن ان الفظ ، بدلا من الكلمة الصحيحة ، آلافا غيرها مما هو في غير محله ، وأن أحرّف الكلمة الصحيحة على الف وجه . وعلى هذا، وعندما تصدر عني في موقف معين فتلة بعينها دون سواها من الفتلات المحتملة ، فهل تقسرنى على ذلك اسباب قاهرة ، ام ان

الامر محض مصادفة اعتباطية ، ومسألة لا تستتبع اي جواب معقول ؟

حاول مؤلفان ، هما السيد مرنغر Meringer والسيد ماير Mayer (الاول فقيه في اللغة ، والثاني طبيب امراض عقلية) ، في عام ١٨٩٥ ان يطرقا من هذه الزاوية مسألة الاغلاط اللغوية . وقد جمعا امثلة وعرضاها بادىء الامر من وجهة نظر وصفية خالصة . وهما لم يقدموا بذلك ، بطبيعة الحال ، اي تفسير ، لكنهما دلانا الى الطريق الذي يمكن ان يفضي اليه . فقد صنفا التحريفات التي تصيب الخطاب القصدي ضمن الابواب التالية :
١ - القلب ؛ ب - الاستباق ؛ ج - الاستلحاق ، د - ادغام ، هـ - الإبدال . وسأسوق لكم امثلة على كل باب من هذه الابواب .
فمن القلب ان يقول قائل : **ميلو فينوس** بدلا من **فينوس ميلو** (٤) . ومن الاستباق قول القائل : ما **أجثم** الهم الذي **يجثم** على صدري ، بدلا من : ما **أثقل** الهم الذي **يجثم** على صدري . ومن الاستلحاق قول من يقول : ادعوكم الى شرب **شعخب** (٥) رئيسنا ، بدلا من **نخب** . وهذه الاشكال الثلاثة من الفلتات ليست كثيرة الذبوع . وبالمقابل تكثر الفلتات التي تنجم عن **تداخل** كلمتين او **ادغامهما** كأن يقول الفتى لفتاة يعاكسها في الطريق : هل تسمحين لي بأن **انافئك** في الطريق ؟ فهنا حدث ادغام بين كلمة **ارافئك** التي كان مفروضا ان ينطق بها وبين كلمة **نافق** التي نطق بها ، والتي فيها اهانة للفتاة . واقول بالمناسبة ان صاحبنا الفتى لم يقع بكل تأكيد موقع رضا في عين فتاتنا . أما **الإبدال** اخيرا فساؤرب عليه مثالا من الامثلة التي جمعها مرنغر وماير : «ساؤع اللحم في علبنة

٤ - ميلو : جزيرة يونانية في بحر ايجه ، اكتشف فيها سنة ١٨٢٠ تمثال

الالهة فينوس الشهير ، فنسب اليها . -م-

٥ - شعب القتيل : سال الدم من اوداجه . -م-

البريد» بدلا من : «سأضع اللحم في علبه الجليد» .
اما التفسير الذي يحاول الباحثان المشار اليهما استخلاصه
مما جمعه من امثلة فيبدو لي غير كافٍ على الاطلاق . فهما
يعتقدان ان اصوات اللفظة ومقاطعها تتفاوت قيمة واهمية ، وان
تعصيب Innervation العنصر الارفع في القيمة يمكن ان يترك
اثرا تشويشيا في تعصيب العناصر الادنى في القيمة . وهذا في
الحق لا يسري الا على البابين الثاني والثالث عند الاقتضاء ، وهو
على كل حال قليل التواتر ؛ اما في ضروب الفلتات الاخرى ، فان
غلبة بعض الاصوات على غيرها ، على افتراض وجودها ، لا تلعب
اي دور على الاطلاق . فأكثر الفلتات تواترا هي تلك التي يهفو
فيها اللسان بكلمة بدل اخرى مشابهة لها ، وهذا التشابه يبدو
للكثيرين كافيا لتفسير الهفوة . من ذلك ان استاذنا قال في درسه
الاول : «لست منكرا جهود الاستاذ الذي سبقني الى تدريسكم» ،
وكان قصده ان يقول : «لست منكرا جهود الاستاذ ... الخ» .
وكذلك قول القائل : «اما فيما يتعلق بجهاز المرأة التناسلي ، فرغم
كل البحوث التي هاجت مؤخرا ... عفوا ، رغم كل البحوث التي
راجت مؤخرا ...» .

لكن الفلته الاكثر تواترا والالفت للانتباه هي تلك التي يهفو
فيها اللسان بعكس ما كان يريد النطق به تماما . ومن الواضح ان
العلاقات الصوتية او تأثيرات التشابه لا تلعب هنا سوى دور
طفيف للغاية . فاذا استبعدنا هذين العاملين ، جاز لنا ان نتوقف
عند حقيقة معروفة ، وهي ان الاضداد تقوم بينها وشائج قوية على
صعيد التصور ، وتكون قريبة الى بعضها بعضا غاية القرب من
حيث التداعي او الترابط السيكولوجي . وثمة امثلة مشهورة في
هذا الموضوع . فقد افتتح مرة رئيس مجلس النواب عندنا
الجلسة بقوله : «سادتي ، بالنظر الى اكمال النصاب ، أعلن
ارفضاض الجلسة» .

والواقع ان اي شكل آخر من اشكال التداعي السهل قد يكون له ما لتداعي الازداد من مفعول اذا جاء حدوثه في غير محله .
بروى ، مثلا ، ان العالم الفيزيولوجي المشهور ديبوا - ريمون Dubois - Reymond القى خطبة في مادبة اقيمت بمناسبة زواج احد اولاد آل هلمهولتز Helmholtz من ابنة الصناعاتي المعروف إ. سيمنز Siemens ، وانهى كلمته الرائعة ، كما هو مفروض ، بالدعوة الى شرب نخب «شركة سيمنز وهالسكه الجديدة» . وكان يقصد بقوله هذا ، بطبيعة الحال ، شركة سيمنز - هالسكه Halske القديمة ، والربط بين هذين الاسمين مألوف لدى جميع ابناء برلين .

وعليه لا بد ان ندخل في حسابنا ، علاوة على العلاقات الصوتية بين الالفاظ وتشابهها ، تأثير ترابطها وتداعياها . ولكن هذا ايضا لا يكفي . فثمة طائفة بكاملها من الحالات لا يمكن تفسير الفلته فيها الا اذا اخذت بعين الاعتبار العبارة التي كان المتكلم قد نطق بها او حتى فكر بها سابقا . اذن فهي بدورها من الحالات ذات المفعول الاستلحاقى ، شبيهة بتلك التي حدثنا عنها مرنغر ، وان تكن اوسع نطاقا . وهنا لا اجد مناصا من الاعتراف لكم بأنه يلوح لي ، اذا ما امعنا التفكير في كل ما تقدم ، اننا ابعد الان عن فهم الطبيعة الحقيقية لزلّات اللسان مما كنا عليه من قبل .

غير اني اخالني لا اخطىء ان زعمت ان الامثلة التي سقناها على الهفوات في ما تقدم من بحثنا تترك لدينا انطبعا جديدا حقيقيا بأن نوليه اهتمامنا . فقد بحثنا اولا في الشروط التي تحدث فيها الفلته بصفة عامة ، ثم درسنا العوامل التي تعيّن ما يطرا من تحريف على اللفظة ؛ لكننا لم ننظر الى الان في مفعول الفلته بحد ذاته ، بصرف النظر عن الكيفية التي تحدث بها . فان قر قرارنا على ان نفعل ، رأينا انفسنا مطالبين بأن تكون لنا الجراة على التصريح بأن التحريف ، الذي هو قوام الفلته ، له في بعض الامثلة التي سقناها مغزى . لكن ماذا نعني بقولنا : له مغزى ؟

نعني ان مفعول الفلته قد يكون حقيقا بأن نرى فيه فعلا نفسيا كاملا ، له هدفه الخاص ، وتظاهرة لها مضمونها ومدلولها الخاصان . ونحن لم نتكلم حتى الان الا عن الهفوات ، لكن يلوح الان ان الهفوة قد تكون فعلا صحيحا تماما ، وكل ما هنالك انه ناب مناب الفعل المنتظر او المراد .

هذا المعنى اللصيق بالهفوة يتجلى للعيان في بعض الاحوال على نحو باهر لا يخطئه الادراك . فان يكن رئيس مجلس النواب قد اعلن ، من اول عبارة نطق بها ، ارفضاض الجلسة ، بينما كان قصده الاعلان عن افتتاحها ، فاننا نميل ، نحن العارفين بالظروف التي حدثت فيها الفلته ، الى الافتراض بأن لهذه الهفوة معنى . فقد كان الرئيس لا يتأمل خيرا من الجلسة ، وما كان ليسوءه لو استطاع رفعها . ولا يعسر علينا البتة في هذه الحال ان نهتدي الى مغزى الفلته المشار اليها وان نفهم مدلولها . وعندما تروي سيدة معروفة بتشبهها برايها : «استشار زوجي طبيبا في نوع الحماية التي ينبغي عليه اتباعها ، فاجابه الطبيب ان لا حاجة به الى الحماية ، وأنه يستطيع ان يأكل ويشرب ما أريدُه انا» ، فلا شك في ان في هذا القول فلته ، لكن هذه الفلته تعتبر تعبيرا سافرا لا يخطئه الادراك عن طبيعة الخطة التي تنهجها السيدة المذكورة حيال زوجها .

فاذا ما تأكد لنا ان الفلثات ذات المغزى لا تشكل استثناء ، بل هي على العكس كثيرة التواتر ، ظهر لنا هذا المغزى ، الذي لم نعره حتى الان اهتماما في كلامنا عن الهفوات ، على انه بالضرورة العنصر الذي له الصدارة على كل العناصر الاخرى ، وجاز لنا ان نقدمه في البحث عليها . وعندئذ يكون في وسعنا ان نضرب صفحا عن جميع العوامل الفيزيولوجية والنفسية - الفيزيولوجية ، وان نقصر اهتمامنا على البحث السيكلولوجي المحض فسي معنى الهفوات ومغزاها والنيات والمقاصد التي تشف عنها . وعليه ،

سنمضي قدما الى الامام في تمحيص طائفة كبيرة من الملاحظات من هذا المنظور تحديدا .

لكن قبل ان نضع هذا المشروع موضع التنفيذ ، ادعوكم الى ان تسلكوا معي طريقا آخر . فقد حدث لاكثر من شاعر ان استخدم الفلته او غيرها من الهفوات وسيلة من وسائل الاداء الشعري . وفي هذا وحده ما يثبت لنا ان الشاعر يرى ان الهفوة ، وعلى سبيل المثال فلته اللسان ، ليست خالية من المعنى ، ولا سيما انه يصطنعها عن قصد وعمد . ولن يدور في خلد احد ان يفترض ان الشاعر اخطأ وعثر به قلمه اثناء الكتابة ، وانه ترك خطاه بلا تصحيح ، فصار على هذا النحو فلته على لسان البطل . وانما قصد الشاعر من الفلته الاشارة من طرف خفي الى شيء ما ، ولا يشق علينا ان نفطن الى ما يمكن ان يكونه هذا الشيء : كتنبيهنا الى ان الشخص المذكور شارد اللب او متعب او على وشك ان يصاب بنوبة صدام . لكن وان استخدم الشاعر الفلته على انها كلمة ذات معنى ومغزى ، فانه يجدر بنا الا نفلو بطبيعة الحال في اهميتها . وفي الواقع ، قد تكون الفلته مجردة من كل معنى ، وقد لا تعدو ان تكون عارضا نفسيا ، او قد لا يكون لها من معنى الا بصفة استثنائية ، وهذا من دون ان ننكر على الشاعر حقه في تزويق اخراجها وتحميلها ما يتفق من المعاني مع الفرض الذي يرمي اليه . لا تعجبوا اذن ان صارحتكم بانكم قد تعجبون فائدة اكبر في هذا الموضوع لو قرأتم الشعراء بدل ان تدرسوا مؤلفات فقهاء اللغة وأطباء الامراض العقلية .

لدينا مثال على فلته من هذا القبيل في **فالنشتاين** (١)

٦ - البرشت فالنشتاين : دوق الماني من مواليد بوهيميا (١٥٨٣ - ١٦٢٤)، عمل في خدمة الامبراطور الجرمانى وأبلى بلاء حسنا في حرب الثلاثين عاما. =

(بيكولوميني ، الفصل الاول ، المشهد الخامس) . ففي المشهد السابق كان بيكولوميني (٧) قد دافع دفاعا حارا عن الدوق ، فأشاد بمحاسن السلم ومزاياه التي فطن اليها خلال الرحلة التي قام بها ليواكب ابنة فالنشتاين الى المعسكر . ثم يفادر خشبة المسرح تاركا اباه ومبعوث البلاط الملكي في اندهال ووجوم شديدين . وعندئذ يجري المشهد الخامس على النحو الآتي :

كوستنبرغ : تعسا لنا ! اين وصل بنا الحال ، يا صديقي ؟ وهل ندعه يذهب بوهمه هذا ، من دون ان ننبهه اليه ولا أن نفتح عينيه حالا ؟

اوكتافيو (يفيق من استغراقه في التفكير) : عيناى مفتوحتان ، وما اراه ليس مما يسرني .

كوستنبرغ : ما الامر ، يا صديقي ؟

اوكتافيو : لعن الله تلك الرحلة !

كوستنبرغ : لماذا ؟ ما الخطب ؟

اوكتافيو : تعال ! ينبغي ان اتبع دون إبطاء هذا الاثر المشؤوم الذي اراه بعيني . . . تعال ! (يهم باقتياده) .

كوستنبرغ : ما بك ؟ اين تريد الذهاب ؟

اوكتافيو (في تعجل) : اليها !

= لكنه طمعا في عرش بوهيميا ، تفاوض على عقد الصلح مع العدو ، فأمر الامبراطور باغتياله . وقد استوحى شيلر من قصة حياته ثلاثية مسرحية مثلت في فايمار (١٧٩٨ - ١٧٩٩) وتألفت من ثلاثة أجزاء : معسكر فالانشتاين ، وبيكولوميني ، وموت الدوق . -م-

٧ - المقصود هنا بيكولوميني الفتى ، ابن اوكتافيو بيكولوميني ، وهو جنرال نمساوي من مواليد بيزا بايطاليا (١٦٠٠ - ١٦٥٦) ، لمع اسمه في عدد من المعارك في حرب الثلاثين سنة . -م-

كوستنبيرغ : الى ...

اوكتافيو (متداركا) : الى الدوق ! هيا !

كان اوكتافيو يريد ان يقول «اليه ، الى الدوق !» . لكن لسانه هفا به ؛ ويقوله : اليها ، اماط اللثام (لنا على الاقل) عن كونه ادرك تحت تأثير من صار المقاتل الشاب يحلم بمحاسن السلم . لقد اكتشف ا. رانك (٨) Rank مثالا اكثر روعة من هذا

لدى شكسبير ، وذلك في مسرحية تاجر البندقية ، وعلى وجه التحديد في المشهد الشهير الذي يتعين فيه على العاشق المحظوظ ان يختار بين صناديق ثلاثة . وخير ما يمكن ان افعله ان اقرا عليكم الفقرة المقتضبة التالية مما كتبه رانك بصدد هذا الموضوع :

«يحتوي المشهد الثاني من الفصل الثالث من تاجر البندقية لشكسبير على مثال من فلتات اللسان ينم عن رهافة كبيرة فسي الحس الشعري وعن براعة كبيرة في الصنعة الفنية ؛ وهو يثبت ، نظير ذلك المثال الذي وجده فرويد في فالنشتاين (علم نفس امراض الحياة اليومية) (٩) ، الطبعة الثانية ، ص ٤٨) ، ان الشعراء يعرفون حق المعرفة اوالية هذه الهفوة ومغزاها ، وانهم يفترضون بالمشاهدين ايضا معرفة هذا المغزى . فيورشيا ، التي ارغمها ابوها على ان تختار زوجا لها عن طريق القرعة ، افلحت ، بما واتاها من حظ ، في الافلات من كل الذين تقدموا الى خطبتها وما حازوا على رضاها . ثم لما وجدت اخيرا في باسانيو الخاطب السذي ترتضيه ، باتت تخشى ان يسيء هو الآخر اختيار الصندوق .

٨ - اوو رانك : طبيب امراض عقلية (١٨٨٤ - ١٩٣٩) ، كان لفترة طويلة من الزمن من تلاميذ فرويد الاوفياء ، له دراسات تحليلية نفسية في الميتولوجيا ، كما ادخل تطورا على تفسير عقدة اوديب . -م-

٩ - كتاب لفرويد اصدوره سنة ١٩٠١ ودرس فيه شتى اشكال الهفوات التي ترتكب في الحياة اليومية . -م-

وكانت تتمنى لو تخبره بأنه حتى ان وقع له هذا فبوسعه الاطمئنان الى حبها ، لكن العهد الذي قطعت له والداها كان يمنعه من ذلك . وفيما هي فريسة هذا الصراع الداخلي ، جعلها الشاعر تقول لخطبها الغالي عندها :

«ارجوك ان تتمهل ؛ اصبر يوما او يومين قبل ان تسلم امرك للعبة الحظ ؛ فلو اسأت الاختيار لفقدت عثرتك . تمهل اذن . ثمة شيء ينبئني (لكنه ليس الحب) بأنني سأتحسر وأتأسف لو فقدتك ... صحيح اني استطيع ان آخذ بيدك كيما تحسن الاختيار ، لكنني في هذه الحال سأحنت بيمينني ، وهذا ما لا اطيعه . وهكذا قد لا اكون من حظك ؛ وعندئذ ستجعلني أتحسر على انني لم احنت بيمينني . آه لهاتين العينين اللتين زرعتا البلبلة في نفسي وشطرتاني شطرين : **شطر لك ، وشطر لك** ... اريد ان اقول **لي** . لكنه ان كان لي ، فهو لك ايضا ، وهكذا اكون **كلي لك** .»

«هذا الشيء الذي ما كانت تريد الا ان تلمع اليه إلماعة طفيفة ، والذي كان يفترض بها ان تكتمه وتخفيه ، وهو انها **كلها** له حتى قبل اجراء القرعة وانها تحبه ، هذا الشيء جعلها الشاعر ، برهافة سيكولوجية بديعة ، تبوح به عبر فلتة لسانها ، فخفف بهذه الحيلة الفنية عن العاشق ما كان يعانيه من شك لا يطاق ، وعن المشاهدين ما كانوا فيه من ترقب وقلق بصدد نتيجة الاقتراع» .

ولنلاحظ ايضا مدى ما دلت عليه بورشيا من إرهاف عندما وفقت في آخر كلامها بين الاعترافين المتضمنين في فلتة لسانها وأزالت ما بينهما من تناقض ، مع مجاهرتهما في الوقت نفسه بحبها له : «لكنه ان كان لي ، فهو لك ايضا ، وهكذا اكون **كلي لك**» .

لقد اتفق لأحد المفكرين ممن لا صلة لهم بالطب ان كشف ،

بملاحظة واحدة يتيمة ، مغزى الهفوة ، فوفّر علينا بذلك عناء البحث عن تفسير لها . انتم جميعكم تعرفون ولا بد الهجاء العبقري ليختنبرغ Lichtenberg (١٧٤٢ - ١٧٩٩) الذي قال عنه غوته ان كل نكتة من نكاته تخفي معضلة . فقد كتب ليختنبرغ يقول انه من كثرة ما قرأ هوميروس انتهى به الامر الى ان يقرأ اسم اغاممنون (١٠) Agamemnon حيثما طالعه كلمة أنفينومن (١١) Angenommen . هنا تكمن فعلا كل نظرية الهفوة .

في المحاضرة التالية سنرى ان كنا نستطيع ان نتفّق والشعراء في تصوره لمعنى الهفوات .

١٠ - اغاممنون : من ملوك اليونان الاسطوريين وقائدهم في حرب طروادة،

ضحى بابنته افيجينيا قربانا للالهة حتى تهب الرياح مؤاتية لسفن الاغريق. -م-

١١ - كلمة المانية معناها «افتراضا» . -م-

المحاضرة الثالثة

الهفوات (تابع)

اتفقنا في محاضرتنا الاخيرة على النظر الى الهفوة في ذاتها ، لا في صلتها بالفعل القصدي الذي تحدث ما تحدث فيه ممن تشويش . وقد تبدى لنا ان الهفوة تتم في بعض الاحوال عن معنى خاص ، وقلنا بيننا وبين انفسنا انه لو امكن اثبات صحة هذا الانطباع الاول على نطاق اوسع ، لكان خليقا بهذا المعنى اللصيق بالهفوات ان يستأثر باهتمامنا اكثر مما تستأثر به الظروف التي تحدث فيها الهفوة .

ولنتفق مرة اخرى على ما نعنيه حين نتكلم عن «معنى» سيرورة من السيرورات النفسية . فما هذا «المعنى» في نظريتنا سوى القصد الذي يخدمه والمكان الذي شغله في المتواليصة النفسية . بل قد يسعنا ، في معظم ابحاثنا ، ان نستبدل كلمة

«المعنى» بكلمة «القصد» أو «الفرض» . لكن عندما نتصور ان وراء الهفوة قصدا ، الا ترانا نجري وراء مظهر خداع او ضرب من المبالغة الشعرية ؟

لنلزم امثلة فلتات اللسان ، ولنستعرض عددا اكبر من الملاحظات التي تتعلق بها . فهنا تواجها مجموعات كاملة من الحالات يتجلى فيها معنى الفلته بوضوح وسطوع . وباديء ذي بدء الحالات التي ينطق فيها المرء بعكس ما يبغى قوله . لقد قال الرئيس في خطابه الافتتاحي : «أعلن أرفضاً الجلسة» . لا مجال هنا للبس او الإبهام ، فالمعنى والقصد اللذان يشي بهما كلامه انه يريد فض الجلسة . بل لعلنا نستطيع ان نضيف انه قال ذلك ؛ وما علينا في هذه الحال الا ان نأخذه بقوله . ارجو الا يقاطعي الان احد باعتراضاته ، كان يرد عليّ بأن ذلك امر محال، على اعتبار اننا نعرف انه كان يريد افتتاح الجلسة ، لا فضاها ، وانه يؤكد بنفسه - ونحن نقر بأنه هو المرجع الاول والآخر - انه كان يريد افتتاحها . ولا تنسوا اننا كنا اتفقنا على النظر الى الهفوة في ذاتها ؛ اما صلاتها بالقصد الذي تشوشه ، فستكون موضوع بحثنا لاحقا . ولو نهجنا غير هذا النهج ، لوقعنا في خطأ منطقي (يسميه الانكليز Begging The question) (١) من شأنه ان يبعدنا عن معالجة المسألة المطلوب معالجتها .

وحتى في الحالات الاخرى ، التي لا ينطق فيها المرء تحديدا بعكس ما كان يبغى قوله ، تظل الهفوة تعبر عن معنى مضاد . فعندما قال الاستاذ : «لست منكرا جمود الاستاذ الذي سبقني الى تدريسكم» ، فان كلمة جمود ليست نقيض جهود ؛ لكن قوله يتضمن اعترافا علنيا يتنافى تنافيا صارخا وموقف المتكلم . وفي حالات اخرى ، يكون كل شأن الفلته ان تضيف معنى

آخر الى المعنى المقصود . وهنا تبدو العبارة وكأنها ادغام او اختصار او تكثيف لعدة عبارات . وهذا ينطبق على تلك السيدة الطاغية الشخصية التي تكلمنا عنها في المحاضرة السابقة والتي قالت عن زوجها : «انه يستطيع ان يأكل ويشرب ما أريده انا» . فكانها قالت : «يستطيع ان يأكل ويشرب ما يريد . لكن ما حاجته الى ان يريد ؟ فأنا من يريد مكانه» . وكثيرا ما تترك الفلتات انطبعا بأنها اختصار من هذا القبيل . ومثال ذلك ان استاذنا في التشريح سأل تلاميذه ، في نهاية درس له عن التجويف الانفي ، عما اذا كانوا قد فهموه . فلما اجابوه بالايجاب ، أردف يقول : «لا اعتقد ذلك ، لان من يفهمون البنية التشريحية للتجويف الانفي ، حتى في مدينة تعد مليوناً من السكان ، يمكن ان يعدوا على اصبع واحدة . . . عفوا ، على اصابع يد واحدة» . وهكذا فان اختصار الجملة كان له معناه : فقد اراد الاستاذ ان يقول انه لا يوجد سوى رجل واحد يفهم بنية التجويف الانفي .

الى جانب هذه الطائفة من الحالات ، التي ينجلي فيها معنى الفلته من تلقاء نفسه ، ثمة حالات اخرى لا تضي فيها الفلته بمغزى ذي دلالة ، وتكون بالتالي متعارضة مع ما كنا نتوقعه . فحين يلحن احدهم في النطق باسم علم او يتلفظ بأصوات غريبة مبهمه ، وهذا كثير التواتر ايضا ، فقد يبدو لنا وكأنه ليس لمسألة معنى الهفوات سوى جواب سلبي . لكن لو أمعنا التفكير في هذه الامثلة لبان لنا ان تحريف الالفاظ او الجمل أمر قابِل بسهولة للتفسير ، بل لتأكد لنا ان الفارق بين هذه الحالات التي يكتنفها قدر اكبر من الغموض وبين الحالات الواضحة البيننة التي ذكرناها اعلاه ليس كبيرا كما حسبنا لاول وهلة .

سئل رجل عن وضع حصانه المريض ، فأجاب : «آه ، ربما يصيش . . . ربما يمشي شهرا آخر» . فلما سئل عن المعنى الذي رمى اليه من وراء كلمة يصيش (التي نطق بها في بادئ الامر بدلا

من يعيش) ، اجاب انه بالنظر الى ان مرض حصانه هو في نظره مصيبة آلت به ، فقد دمج رغما عن ارادته بين كلمتي مصيبة و يعيش ، فكانت منهما زلة لسانه يعيش (عن مرنفر وماير) .

وفي معرض حديث احدهم عن مسالك واساليب تشهير استنكاره واشتمزازه ، قال : «عندئذ انكشرت امور كثيرة» . وكان يقصد ان يقول : انكشفت امور كثيرة . لكن بما انه كان ينعت في سريرة نفسه تلك المسالك والاساليب بأنها شريرة ، فقد ربط بغير طوعه بين كلمتي انكشفت وشريرة ، فكانت الفتنة انكشرت (عن مرنفر وماير) .

تذكروا مثال ذلك الشاب الذي عرض ان يرافق سيدة لا يعرفها بكلمة انا ففك . وقد اجزنا لانفسنا ان ن فك هذه الكلمة الى رافق و نافي ، وكنا على ثقة تامة بهذا التأويل ، فلم نر داعيا الى توكيد صحته . ويتضح لكم من هذه الامثلة اننا نستطيع ان نفسر حتى هذه الحالات من الفلتات التي يكتنفها قدر اكبر من الابهام بالتقاء لفظين يعبران عن قصدين مختلفين او بتداخلهما . والفارق الوحيد بين شتى انواع هذه الحالات ان القصد في بعضها ، كما في الفلتات التي ينطق فيها المرء بعكس ما ينبغي قوله ، يحل محله قصد مغاير تماما (استبدال) ، بينما لا يصيب القصد في حالات اخرى سوى تحريف او تعديل بفعل قصد آخر ، مما يؤدي الى تشكيل الفاظ مختلطة تنطوي على قدر او آخر من المعنى .

هكذا يتها لنا اننا كشفنا سر عدد كبير من الفلتات . فاذا تمسكنا بهذه النظرة ، امكننا ان نفهم مجموعات اخرى ما برحت حتى الان ملفزة . من ذلك ، على سبيل المثال ، اننا لا نستطيع على الدوام ، وفيما يتعلق بتحريف الاسماء ، ان نفترض ان المسألة مسألة تراحم بين اسمين ، متشابهين ومختلفين في آن واحد . فحتى ان لم يكن لهذا التراحم من وجود ، لا يشق علينا ان نعيث اللثام عن القصد الثاني . فتحريف الاسم امر شائع خارج نطاق الفلتات . ومن ذلك ان يحاول احدهم تحريف الاسم لكي يجعل

له وقعا نشازا ، او لكي يستحضر وقعه في الاذان صورة شيء مبتدل . وهذا لون شائع جدا من الوان الاهانة والتجريح ، ليس للإنسان المهذب الا ان يأنف من اللجوء اليه ، ولو على مضض . وكثيرا ما يُعطى شكل «نكتة» مسفة كل الاسفاف . من المباح لنا اذن ان نفترض ان الفلته تتأتى في كثير من الاحيان عن قصد تجريحي يتنكر في إهاب تحريف اللفظ . ولو توسعنا بتصورنا هذا لوجدنا ان مثل هذه التفاسير تسري على بعض الفلثات ذات الوقع الهازل او اللامعقول : «ادعوكم الى شرب شخب رئيسنا (بدلا من : شرب نخب)» . فهذه الكلمة الغالطة ، بما لها من وقع غير مستساغ ، قد عكرت ، على غير ما انتظار ، جو ذلك الحفل الرسمي ؛ فاذا تذكرنا بعض الالفاظ والعبارات التي ينطق بها قصد الاهانة ، جاز لنا ان نفترض ، في الحالة التي نحن بصددھا، وجود ميل يحاول الافصاح عن نفسه ، ولو بالتناقض الصارخ مع موقف الخطيب المغمم احتراماً وتوقيراً في الظاهر . ولكن هذا الخطيب اراد ان يقول في حقيقة الامر : لا تصدقوا ما اقلوه ، فانا لا اتكلم جادا ، بل أسخر من صاحبنا ، الخ . وكذلك الحال في أرجح الظن في الفلثات التي تتحول فيها الالفاظ البريئة الى كلمات جارحة وبذيئة .

هذا الميل الى التحوير ، او بالاولى الى التحريف ، نلاحظه لدى الكثير من الناس ممن يسلكون هذا المسلك حبا بالتندر و«التنكيت» . وبالفعل ، كلما طرق سمعنا تحريف كهذا ، وجدنا انفسنا نتساءل هل قصد المتكلم الى التنكيت فحسب ، ام ان لسانه عثر به بقلته حقيقية .

هكذا نكون قد وجدنا ، بسهولة نسبية ، حلا للفر الهفوات ! فما هذه الهفوات وليدة المصادفة ، وانما هي أفعال نفسية جدية لها معنى ، وناجمة عن تضافر قصدين مختلفين ، او بالاحرى عن تعارضهما . غير اني اتوقع سلفا كل الاسئلة وكل الشكوك التي قد

ثم يرونها بهذا الصدد ، اسئلة وشكوك لا بد ان نلتبس لها اجوبة وحلولا قبل ان يحق لنا الاغتياب باحراز تلك النتيجة الاولى . ولست انوي بحال من الاحوال ان ادفع بكم الى التعجل فسي استخلاص النتائج . بل لنناقش جميع النقاط في نظام وتأثر ، الواحدة تلو الاخرى .

ماذا عساكم تسألونني ؟ اتسألونني هل اعتقد ان التفسير الذي اتقدم به يصلح للتطبيق على جميع حالات الفلتات ، ام على طائفة محدودة منها فحسب ؟ وهل يشمل هذا التصور جميع ضروب الهفوات الاخرى : اغلاط القراءة والكتابة ، والنسيان ، والإخطاء Méprise ، وتعذر اهداء المرء الى شيء كان قد وضعه في مكان ما ، الخ ؟ وما الدور الذي يمكن ان يلعبه بعد التنب والتهميج والسهو وتشتت الانتباه حيال الطبيعة النفسية للهفوات ؟ وقد تلاحظون ، علاوة على ذلك ، ان احد القصدين المتزاحمين في الهفوة باطن على الدوام ، بينما الآخر ظاهر . فكيف السبيل الى اظهار هذا القصد الخفي ؟ واذا تصورنا اننا افلحنا في ذلك ، فكيف نثبت ان هذا القصد ليس محتملا فحسب ، بل هو القصد الحقيقي الوحيد ؟ الديكم اسئلة اخرى تطرحونها علي ؟ ان كان هذا كل ما لديكم ، فسأزيد عليه من عندي . وسأذكركم بأن الهفوات بحد ذاتها ليست هي ، والحق يقال ، ما يستأثر باهتمامنا ، وانما نريد ان نستخلص من دراستها نتائج قابلة للتطبيق على التحليل النفسي . ولهذا اطرح السؤال التالي : ما هذه المقاصد والميول التي تتعدى ان جاز القول على مقاصد وميول اخرى ، وما العلاقات التي تقوم بين المقاصد المتعدية والمقاصد المتعدى عليها ؟ وهكذا سنجد انفسنا ملزمين باستئناف مجهودنا من جديد بعد ان نكون قد وثقنا الى حل المشكلة .

اذن هل ينطبق تفسيرنا على جميع حالات الفلتات ؟ اميل كل الميل الى اعتقاد ذلك ، لان هذا التفسير هو الذي يفرض نفسه كلما محصنا فلتة من الفلتات . على انه ليس ثمة دليل على انه لا

وجود لفلتات تنشأ عن اواليات اخرى . على رسلكم . لكن هذا الاحتمال لا يعنينا كثيرا من الوجهة النظرية ، لان النتائج التي نتطلع الى استخلاصها كمدخل الى التحليل النفسي تبقى قائمة حتى على فرض ان الفلتات التي تتفق وتصورنا لا تمثل الا نسبة ضئيلة بين سائر الفلتات ، وهو على كل حال فرض غير صحيح .

اما سؤالكم الثاني عما اذا كان من المباح لنا ان نعمم على سائر انواع الهفوات النتائج التي تتأتى لنا من دراسة فلتات اللسان ، فاني ساجيب عنه استباقا بالاجاب . وسترون اني محق في ذلك متى ما انتقلنا الى فحص الامثلة المتعلقة بزلة القلم ، والإخطاء ، الخ . غير اني اقترح عليكم ، لاسباب تقنية ، إرجاء هذا العمل الى ان ننتهي من دراسة مشكلة فلتات اللسان بمزيد من التعمق .

والآن ، وحيال الاولية النفسية التي اتينا بوصفها ، ما الدور الذي تضطلع به بعد العوامل التي يعلق عليها الباحثون اهمية كبرى : اضطرابات الدورة الدموية ، التعب ، التهيج ، الشرود وتشتت الانتباه ؟ هذا سؤال جدير بتمحيص مستأن . وتأكدوا اننا لا نماري البتة في تأثير هذه العوامل . والحق انه لا يتفق كثيرا للتحليل النفسي ان يماري في ما يثبت الآخرون ؛ وهو بصفة عامة لا يصنع اكثر من ان يضيف اليه جديدا ؛ والمصادفة هي التي شاءت ان يكون ما اغفله الآخرون وأضافه التحليل النفسي هو اساس الموضوع وجوهره . ان تأثير الاستعدادات الفيزيولوجية، الناشئة عن توعك الصحة واضطراب الدورة الدموية وحالات الاعياء ، على اوالية حدوث الفلتات ليس مما ينكر بحال من الاحوال . وتجربتمكم الشخصية واليومية كفيلة بإثبات وجود هذا التأثير . لكن هذا التفسير لا يفسر شيئا كثيرا ! والعوامل التي عددها ليست ، بادىء ذي بدء ، شروطا لازمة للهفوة . فالفلتة تحدث ايضا في تمام الصحة وفي تمام السواء . وليس لهذه العوامل البدنية من قيمة الا بقدر ما تسهل وتيسر الاوالية

النفسية المتحكممة بالفلته . وقد لجأت يوما ، تمثيلا على هذه العلاقة ، الى تشبيه اجذني اليوم مضطرا الى التمثل به من جديد لانني لن اجد ، مهما بحثت ، خيرا منه . لنفرض اني بينما كنت اسير ليلا في مكان مقفر هاجمني لص وسلبني ساعتسي وصرة نقودي ؛ وعلى اثر هذه السرقة التي ما استطعت اثناءها تمييز وجه اللص ، قصدت اقرب مخفر للشرطة وقدمت شكوى قائلا : «لقد سلبني الظلام والانفراد قبل قليل متاعي» . عندئذ قد يجيبني رئيس المخفر بقوله : «يخيل اليّ انك تخطيء بتفسيرك الامر هذا التفسير الميكانيكي المفرط . ولو سمحت ، فاننا نتصور الموقف على النحو التالي بالاحرى : لقد سلبك لص مجهول ، بحماية الظلام والانفراد ، مالك . واهم ما في حالتك ، في رأيي ، هو الاهتداء الى السارق ؛ فعندئذ فحسب قد تتاح لنا الفرصة لاستعادة الاشياء التي سرقها منك» .

وعلى هذا ، فان العوامل النفسية – الفيزيولوجية ، من تهيج وشروء وتشتت انتباه ، لا تسعفنا كثيرا في تفسير الهفوات . فان هي الا تعابير لا تفني ولا تسمن ، وستأثر لا يجوز لها ان تحجب عنا رؤية ما وراءها . والاولى بنا ان نتساءل : ما علة التهيج ، او ما علة تشتت الانتباه في الحالة الخاصة التي نحن بصدها ؟ وأنا لا انكر ، بطبيعة الحال ، ما للمؤثرات الصوتية والتشابهات اللفظية والتداعيات المعهودة التي تقوم بين الكلمات من اهمية معلومة . فجميع هذه العوامل تسهل الفلته اذ تدلها الى الطريق الذي يمكن لها ان تسلكه . لكن ايكفي ان يكون امامي طريق ليتعين عليّ ان اسلكه ؟ الحق انه لا بد لي ايضا من دافع يحفزني على ابرام قراري بسلوكه ؛ ولا بد لي من قوة تحملني على المضي فيه . اذن فتلك العلاقات الصوتية والتشابهات اللفظية ليس من شأنها – مثلها في ذلك مثل الاستعدادات الجسمانية – الا ان تيسر الفلته ، لا ان تفسرها بملء معنى الكلمة . وحسبكم ان تستذكروا ان خطابي هذا ، على كثرة ما فيه من ألفاظ تشابه بجرسها ألفاظا

اخرى او ترتبط باضدادها ترابطا وثيقا او تستحضر تداعيات مألوفة ، بقي خاليا - اللهم الا فيما ندر - من الزلات . ولعلنا كنا سنجيز لانفسنا ، عند الاقتضاء ، ان نقول مع الفيلسوف فونت (٢) ، ان فلتة اللسان تحدث عندما ترجح كفة الميل الى التداعي على كفة مقاصد الكلام الاخرى طرا ، من جراء الاعياء الجسماني . لكن التجربة تنقض هذا التفسير ، وترينا ان الفلتة قد تحدث في بعض الاحوال حتى وان غابت العوامل الجسمانية ، كما قد تحدث في احوال اخرى حتى وان انعدمت التداعيات القمينة بتيسيرها .

لكن سؤالكم بصدد الكيفية التي نتحقق بها من تداخل القصدين سؤال مفيد حقا . ولعلكم لا تشتبهون في النتائج الخطيرة التي قد تترتب عليه تبعا للجواب الذي سنعطيه له . ففيما يتعلق بأول القصدين ، القصد المتعدي عليه ، لا يمكن ان يخالجنا شك بصده : فالشخص الذي يرتكب الهفوة يعرف هذا القصد ويجاهر به . اما الشك والتردد فلا يكتنفان الا القصد الآخر ، القصد المتعدي . والحال انني اسلفت لكم القول ، وهو بالتاكيد لم يغب عن بالكم ، ان ثمة مجموعة من الحالات يكون فيها هذا القصد الاخير جليا بيننا هو الآخر . ومفعول الفلتة هو الذي يميظ لنا اللثام عنه ، وذلك متى واثقنا الجراءة على النظر الى هذا المفعول بحد ذاته . لقد قال الرئيس عكس ما كان يفترض به ان يقوله : فمن الواضح انه يريد افتتاح الجلسة ، لكن من الواضح ايضا انه ما كان ليسوءه ان يفضها . وهذا بين الى حد يغني عن كل تأويل . لكن كيف لنا ، في الحالات التي لا يصنع فيها القصد المتعدي شيئا غير ان يحرف القصد الاصيل من دون ان يفصح

٢ - فلهم فونت : فيلسوف وعالم نفس الماني مثالي (١٨٣٢ - ١٩٢٠) ، مؤسس علم النفس التجريبي . -م-

عن نفسه ، ان نستبينه من خلال هذا التحريف ؟
نستطيع ، في طائفة اولى من الحالات ، ان نفعل ذلك ببساطة
وعلى نحو ثابت محقق ، باتباعنا الطريقة عينها التي نتبعها فسي
الكشف عن القصد المتعدي عليه . فنحن نعلمه من قم الشخص
المعني بالذات الذي يتدارك خطاه فور صدور الفلته عنه ويعاود
النطق بالكلمة الصحيحة ، كما في المثال الآنف الذكر : «ربما
يعيش ... ربما يعيش شهرا آخر» . فلما سئل : لماذا نطقت
بادئ الامر بكلمة **يعيش** ؟ اجاب صاحبنا انه اراد ان يقول انها
مصيبة اصابتي ، لكنه خلط ، بغير طوعه ، بين **يعيش** وبين
المصيبة ، فكانت فلته لسانه : **يعيش** . هكذا يكون الشخص
المعني نفسه قد كشف لنا عن القصد المتعدي . وكذلك الحال في
المثال الذي سقناه في المحاضرة السابقة عن فلته اللسان :
انكشرت ؛ فقد اجاب الرجل ، لما سئل عن سرها ، بأنه كان يقصد
ان يقول انها امور **شريرة** ، لكنه امسك عن ذلك وتورط في وجهة
خاطئة . وهنا ايضا يمكننا تعيين القصد المتعدي بمثل الثقة التي
نعين بها القصد المتعدي عليه . وانا لم اكن خالي الوفاض من كل
نية مسبقة عندما سقت هذين المثالين اللذين لم اكن لا انا ولا احد
من انصاري مصدر روايتهما او تحليلهما . على انه في كلتا
الحالتين لم يكن مناص من التدخل الطفيف من الخارج لتسهيل
الحل . فقد اقتضى توجيه السؤال الى الشخصين المعنيين عن
السبب الذي حملهما على التورط في تلك الفلته ، وعن رأيهما في
الموضوع . ولولا ذلك ، فلربما نطقا بالفلته من دون ان يجشما
نفسيهما عناء تفسيرها . لكن لما سئلا عن سرها ، فسراها بأول
فكرة خطرت على بالهما . وكما ترون ، فان هذا التدخل الطفيف
ونتيجه هما بحد ذاتهما ضرب من التحليل النفسي، نموذج مصغر
للبحث التحليلي النفسي الذي سنحدد اصوله فيما بعد .
تري الاكون مسرفا في الريبة اذا ما اشتبهت بأن مقاومتكم

للتحليل النفسي تبرز حالما أزج باسمه هنا ؟ الا تساوركم الرغبة
 في الاعتراض عليّ بأن المعلومات التي يدلي بها الاشخاص الذين
 ارتكبوا فلتات ليست مما يمكن ان يعتد به كل الاعتداد ؟ الا
 تقولون بينكم وبين انفسكم ان الاشخاص المعنيين يجنحون بطبيعة
 الحال الى الامتثال لدعوة من يطلب اليهم تفسير الفلته فيتلفظون
 بأول شيء يخطر ببالهم ان لاح لهم قمينا بتقديم التفسير المنشود؟
 وهذا كله ليس من شأنه ، في رأيكم ، ان يثبت ان الفلته تنطوي
 فعلا على المعنى المعزو اليها . فقد يكون لها هذا المعنى ، لكن ربما
 كان لها ايضا معنى آخر . فقد كان من الممكن ان تخطر ببال
 الشخص الذي توجه اليه السؤال فكرة مغايرة تماما للفكرة الاولى،
 ولكنها تضاهيها ، ان لم نقل انها تفوقها ، في صلاحيتها للتفسير .
 انني لأعجب حقا للاستخفاف الذي تعاملون به في صميمكم
 الوقائع النفسية ! تخيلوا ان احدهم قام بتحليل كيميائي لمادة
 معينة ، فوجد ان لاحتوائها المكونة وزنا معيناً ، مقداره كذا
 ميلغراما ، مثلا . وافترضوا ان نتائج محددة يمكن استخلاصها
 من هذا الوزن . فهل لكم ان تتصوروا ان يبادر كيميائي آخر الى
 نقض هذه النتائج بحجة ان المادة المذكورة كان يمكن ان يكون لها
 وزن آخر ؟ ان الانسان لا يملك الا ان يسلم بأن الوزن المكتشف
 هو الوزن الحقيقي ، ثم يتخذ من هذه الحقيقة الواقعة ، بلا تردد،
 اساسا للاستنتاجات اللاحقة . فهل يجوز لنا ، عندما تواجهنا
 واقعة نفسية ، قوامها فكرة معينة خطرت ببال شخص ردا على
 سؤال وجهناه اليه ، الا نطبق القاعدة نفسها ، وأن نزعّم ان هذا
 الشخص كان يمكن ان تخطر له فكرة اخرى ؟ الحق انكم مأخوذون
 بوجهة نفسية ، وانتم عن التخلي عنه عازفون ! واني لأسف
 اذا كنت لا استطيع مشاطرتكم رأيكم في هذا الموضوع .
 قد تسلمون في نهاية الامر بهذه النقطة ، لكن لتجسّدوا
 معارضتكم لنقطة اخرى . وهكذا ستردّون قولكم : «اننا نفهم ان

يكون قوام تقنية التحليل النفسي الخاصة انتزاع حل المشكلات التي يتصدى لها من فم الشخص المحلل بالذات . لكن لنعد في هذه الحال الى ذلك المثال الآخر الذي يدعو فيه خطيب المادبة معشر الحفل الى شرب «شخب» الرئيس . فانت تقول ان القصد المتعدي في هذا المثال قصد تجريحي يعارض القصد التكريمي . لكن هذا تأويل شخصي من جانبك ليس الا ، بنيتّه على ملاحظات من خارج فلتة اللسان . أما لو وجهت سؤالك الى مرتكبها فلن يقر ابدا بقصد تجريحي ؛ بل سيبادر بالاحرى الى نفيه ، وبكل ما اوتيّه من قوة . فلماذا لا تتنازل اذن عن تأويلك المتعذر اثباته والبرهان عليه حيال هذا الانكار القاطع ؟ .

لقد اهتديتم هذه المرة الى حجة ذات وزن . وهانذا اتخيل الخطيب المجهول ؛ فهو في أرجح الظن مساعد الرئيس المكرّم ؛ ولعله حائز من الان على لقب محاضر خاص (٢) - Privat Docent ؛ واني لاثمّله شابا ينتظره مستقبل حافل بالوعود . وسأسأله بإلحاح ان لم يكن قد شعر بشيء من النفور من التعبير عن عواطفه التكريمية ازاء رئيسه . لكن ها هوذا يستقبل سؤالي باحتداد ، ويرد عليّ بسخط : «أرجوك ان تكف عن استجواباتك، وإلا غضبت فعلا . وشبهاتك هذه قد تفسد عليّ مستقبلي كله . لقد نطقّت بكل بساطة بـ «شخب» بدلا من «نخب» ، لاني نطقّت قبلها مباشرة بكلمة «شرب» وهذا ما يسميه ميرنغر بالاستلحاق ، فلا داعي للبحث عن تأويل آخر . أفهمتي ؟ حسبك ذلك !» إحم ! ان رد فعل فتانا لعنيف حقا ، وإنكاره اعنف . واني لاقر بأنه لا مجال لانتزاع شيء منه ، لكنني أعتقد أيضا انه حريص شخصيا

٢ - استاذ جامعي في المانيا يتلقى مكافاته من الطلاب مباشرة ، وهذا ما كان عليه وضع فرويد نفسه في اول حياته العلمية . -م-

أشد الحرص على ألا نجد لهفوته معنى . وقد ترون معي أنه خطأ باحتداده مع أن الأمر لا يعدو أن يكون بحثاً نظرياً خالصاً ، ولكن قد تضيفون قولكم : أنه يعرف ولا بد ، على كل حال ، ما كان يريد أو لا يريد قوله .

أحقاً ؟ هذا تحديداً ما نريد أن نتحقق منه بعد .
هنا أسمعكم تهتفون : ها صاحبنا قد وقع أخيراً ! وكأنني بلسان حالكم يقول : أهذه هي أذن تقنيته ؟ أكلما صدرت عن شخص فلتة لسان ، وقال في تعليلها ما يتمشى مع رأيك ، أعلنت أنه الحجة الأخيرة والفاصلة في الموضوع ، وصرحت : «ها هوذا يثبتنا هو نفسه بالحقيقة» ؟ أما إذا قال الشخص المستجوب شيئاً لا يتمشى مع رأيك ، زعمت للحال أن تفسيره عديم القيمة ، وأن ليس من داع للاخذ به !

ذلك هو الوضع حقاً . غير أنه يسعني أن أضرب لكم مثلاً على حالة مشابهة تجري فيها الأمور فعلاً هذا المجري العجيب . فحين يقر الظنين بجرمه ، يصدق القاضي إقراره ؛ لكنه حين ينكره ، لا يصدق القاضي . ولو جرت الأمور غير هذا المجري لما استقام للعدالة كيان ؛ ولا محيد لنا عن الأخذ بهذا النهج ، رغم الأخطاء المحتملة .

«ولكن هل أنت قاضٍ ، وهل من يزل لسانه بفتة متهم في نظرك ؟ وهل فلتة اللسان جرم ؟» .

لعل هذا التشبيه ، على بعده ، خليق بالأ نردّه . لكن أرايتم إلى هذه الفوارق البليغة التي تتكشف للعيان ما أن نتعمق قليلاً في دراسة المشكلات – البريئة في الظاهر – التي تثيرها الهفوات ؟ وأنها لفوارق لا نملك بعد أن نسويتها وأن نوفق بينها . لذا أقترح عليكم حلاً وسطاً مؤقتاً ينهض تحديداً على أساس هذه المشابهة بين التحليل النفسي والدعوى القضائية . فعليكم من جهتكم أن تسلموا لي بأن معنى الهفوة يكون بمنأى عن أي شبهة متى ما أقر به المحلل نفسه . وبالمقابل أسلم لكم بتعذر الحصول على دليل

مباشر على المعنى المشتبه به اذا ما رفض المحلل الادلاء بأية معلومات ، او اذا ما كان غيابه يحول دون حصولنا على هذه المعلومات . وعندئذ نضطر ، كما في التحقيق القضائي ، للاكتفاء بقرائن تجعل قرارنا مشاكلا بقدر كثير او قليل للواقع ، تبعا للظروف . وقد تضطر المحكمة ، لاسباب عملية ، الى ان تعلن ان المتهم مذنب ، حتى وان لم تتوفر لها سوى أدلة تخمينية . ومع اننا لسنا بحاجة الى ركوب هذا المركب ، الا انه يخلق بنا ان لا نتمنع عن الاستفادة من مثل هذه القرائن . فمن الخطأ ان نتوهم ان العلم لا يتألف الا من أطروحات قام صارم البرهان على صحتها ، ومن الخطأ ان نطلب منه ان يكون كذلك . والحق ان مثل هذا المطلب لا يصدر الا عن أولئك الذين لا ينساقون الا بسائق السلطة ، والذين تمس حاجتهم الى استبدال التعليم الديني بآخر ، ولو كان علميا . والواقع ان التعليم العلمي لا ينطوي الا على قدر طفيف من القضايا اليقينية الثابتة ؛ واكثر اثباتاته على درجات شتى من الرجحان . وخاصة الروح العلمي معرفته وقدرته على متابعة البناء ومواصلته ، وان اعوزته أدلة نهائية .

لكن ان لم نظفر من فم المحلل بالذات بالمعلومات القمينة بتفسير معنى هفوته ، فأنى لنا ان نقع على مرتكزات لتأويلاتنا ، وعلى قرائن لبرهاننا ؟ هذه المرتكزات وهذه القرائن تنأتى لنا من مصادر شتى . اولها المقارنة التشابهية مع ظاهرات لا صلة لها بالهفوات ، كما عندما نلاحظ مثلا ان لتحريف الاسم في الهفوة معنى تجريحيا مماثلا للمعنى الذي يكون لمثل هذا التحريف لو كان قصديا . كما يزدونا بالمرتكزات والقرائن الوضع النفسي الذي حدثت فيه الهفوة ، ومعرفتنا بطبع الشخص الذي ارتكب هذه الهفوة ، والمشاعر التي قد تكون ساورته قبل ارتكاب الهفوة والتي قد لا تكون هذه الهفوة الا استجابة مضادة لها . والكيفية التي تجري بها الامور عادة تفرض علينا ان نقوم بتأويل الهفوة ، اول

الامر ، انطلاقا من مبادئ عامة . وما نصل اليه على هذا النحو لا يعدو ان يكون تخميناً ، مشروعا للتأويل نسعى الى تأكيد صحته لاحقا بدراسة الموقف النفسي . وقد نضطر احيانا ، للفوز بما يثبت صحة افتراضنا ، الى ان ننتظر احداثا معينة تكون الهفوة نفسها بمثابة نذير بها .

لن يكون من السهل عليّ ان اسوق لكم الادلة على ما اقول ما دمت أحصر بحثي بمضمار فلتات اللسان ، ولو ان هذا المضمار قيمين بتزويدنا هو الآخر ببعض الامثلة الجيدة . فالشاب الذي رغب في مرافقة السيدة ، فعرض عليها ان **ينافقها** (جمع بين كلمتي رافق وناق) هو بكل تأكيد شاب خجول ؛ والسيدة التي يتوجب على زوجها ان يأكل ويشرب ما **تريده** هي بالتأكيد واحدة من اولئك النسوة الطاغيات الشخصية (وأنا اعرف انها كذلك فعلا) ممن تكون لهن اليد الطولى في بيوتهن . وهاكم ايضا المثال التالي : ففي اثناء اجتماع عام لجمعية كونكورديا ، القى شاب ، من موقع المعارضة ، خطابا عنيفا هاجم فيه ادارة الجمعية ، لكنه وجه كلامه الى اعضاء «لجنة الاعارة» ، بدلا من ان يخاطب اعضاء «مجلس الادارة» . اذن فبوسعنا ان نتكهن ونفترض ان معارضته اصطدمت بقصد متعدي ذي صلة محتملة بعملية اقتراض (اعارة) . وقد علمنا بالفعل ان خطيبنا كان بحاجة موصولة الى المال ، وكان قد تقدم بطلب اقتراض جديد . وعليه ، فاننا نستطيع ان نلخص علة القصد المتعدي بالفكرة التالية : **خير لك ان تلتزم جانب الاعتدال في معارضتك ، فانت تخاطب اشخاصا يمكنهم ان يمنحوك او يرفضوا منحك الاعارة التي تطلبها .**

وسيكون بوسعي ان اسوق اليكم مجموعة مختارة من هذه القرائن - الادلة لو ابحث لنفسي ان اطرق ميدان الهفوات الاخرى الواسع .

فحين ينسى احدهم اسم شخص يعرفه معرفة جيدة ، او حين لا يستطيع ان يحفظه الا بصعوبة ومشقة ، فمن حقنا ان

نفترض انه يضمحل لحامل هذا الاسم بعض الضغينة ، فلا يطيب له أن يفكر به . تأملوا معي في ما تكشفه لنا الامثلة التالية عن الوضع النفسي الذي تحدث فيه هفوات من هذا النوع :

« كان السيد س يحب سيدة لا تبادله الحب ، ما لبثت ان تزوجت من السيد ع . ومع ان السيد س يعرف السيد ع من زمن بعيد ، بل تصله وإياه علاقات تجارية ، فانه دائم النسيان لإسمه ، حتى انه يضطر الى طلبه من اشخاص آخرين كلما دعاه الداعي الى الكتابة اليه » (٤) .

من الواضح ان السيد س لا رغبة له في ان يسمع شيئاً عن غريمه المحظوظ . Nicht Gedacht Soll Seiner Werden (٥) .

مثال آخر : سألت سيدة طبيبها عن حال سيدة اخرى يعرفانها كلاهما ، لكنها سمتها بشهرتها قبل الزواج . اما شهرتها بعد الزواج فقد غابت عن ذاكرتها نهائياً . ولما سئلت في هذا ، صرحت انها مستاءة جداً من زواج صديقتها وانها لا تطيق زوج هذه الاخيرة البتة (٦) .

وسنعود الى الكلام لاحقاً بمزيد من التفصيل على نسيان الاسماء . أما ما يستائر باهتمامنا الان فهو الموقف النفسي الذي يقع فيه هذا النسيان .

ان نسيان المشاريع يمكن ان يعزى ، بصورة عامة ، الى تأثير تيار مضاد يعاكس وضعها موضع التنفيذ . وليس هذا رأي المحللين النفسيين وحدهم ، بل رأي الناس اجمعين ، الرأي الذي يجهر به كل انسان في الحياة اليومية ، لكنه ينكره على الصعيد

٤ - نقلا عن ك.غ. يونغ .

٥ - بيت شعر لهيرنج هايني : لنمحه من ذاكرتنا . -م-

٦ - نقلا عن أ.أ. بريل .

النظري . فالوصي ، الذي يعتذر لربيته عن نسيانه طلبه ، لا يغنيه اعتذاره هذا شيئاً في نظر الريبب الذي يقول بينه وبين نفسه : ليس في اعتذار وليّ امرّي ذرة من الحقيقة ، وإنما كل قصده الاّ ينجز الوعد الذي قطعه لي . لذا كان النسيان محظوراً في بعض ظروف الحياة ، وبذلك يتلاشى الفارق بين التصور الشعبي والتصور التحليلي النفسي للهفوات . تخيلوا ربة منزل تستقبل ضيفاً كان قد دعت به هذه العبارة : «كيف ! أهذا يوم زيارتك ؟ لقد نسيت تماماً انني دعوتك لهذا اليوم» . او تصوروا حالة شاب مرغم على الاعتراف للفتاة التي يحبها بأنه نسي ان يوافيها الى مواعدهما الاخير : فهو بدلا من الاقرار لها بنسيانه هذا، يبادر الى اختلاق ما لا يصدّق من الموانع التي حالت دون موافاتها بحسب الموعد ودون اتصاله بها فيما بعد . كما ان الاعتذار بالنسيان لا يؤخذ بعين الاعتبار في الحياة العسكرية ولا يعفي الناس من العقاب : هذا امر نعرفه جميعنا ، ونجد ان له ما يبرره ، لاننا نعترف بأن بعض الهفوات في شروط الحياة العسكرية لها معنى ، ونعرف في غالب الاحوال ما هو هذا المعنى . فلماذا لا نكون منطقيين ونشمل بهذه النظرة سائر الهفوات ، ونجهر بذلك بصراحة وبلا قيد ؟ ان لهذا ايضا جوابا بطبيعة الحال .

لئن يكن مغزى نسيان المقاصد والمشاريع ليس موضع ريبة احد، حتى في نظر العامة، فلن يدهشكم طبعاً ان تلاحظوا ان الشعراء يصطنعون هذه الهفوة للقصد ذاته . فمن حضر منكم او قسراً مسرحية ب.شو : **قيصر وكليوباترة** ، يذكر في الارجح المشهد الاخير الذي تستحوذ فيه على قيصر ، المتهيء للرحيل ، فكرة مقصد عقد العزم على تنفيذه ولكنه بات عاجزاً عن تذكره . ثم نعلم في آخر الامر ان هذا المقصد كان مقابلة كليوباترة لتوديعها . وقد اراد الشاعر ، بهذه الحيلة الصغيرة ، ان يعزو الى قيصر الكبير عجرفة ما كانت من خلقه ولا مما يحلو له ان يتظاهر به . وانتم تعلمون من المصادر التاريخية ان قيصر استقدم كليوباترة

الى روما ، فأقامت فيها مع قيصرونها الصغير ، الى ان اغتيل
قيصر ، فهربت من المدينة .

ان حالات نسيان المقاصد والمشاريع هي بوجه العموم على درجة
كبيرة من الوضوح بحيث يكاد يتعذر علينا استخدامها في ما
نرمي اليه ، وهو استخلاص القرائن المتعلقة بمعنى الهفوة من
الموقف النفسي . لذا سننمّم شطر نوع من الهفوات يعوزه الوضوح
ويكتنفه اللبس : ضياع الاشياء واستحالة الاهتداء الى موضعها .
وقد يبدو لكم انه لما لا يصدّق ان يكون لنياتنا ومقاصدنا دور ما
في ضياع الاشياء ، بالنظر الى ما لهذا الضياع من وقع مؤلم في
انفسنا في كثير من الاحيان . لكن كثيرة هي الامثلة على الحالة
التي سأوردها لكم : فقد اضاع شاب قلما كان شديد الحرص
عليه ؛ والحال انه كان قد تلقى بالامس من صهره رسالة ختمت
بهذه العبارة : «ليس عندي على كل حال لا الوقت ولا الرغبة
لاشجعك على استهتارك وكسلك» (٧) . وكان القلم هدية من
صهره هذا على وجه التحديد . ولولا هذه المصادفة ، لما امكنا
بطبيعة الحال ان نجزم بأن نية التخلص من القلم قد لعبت دورا ما
في ضياعه . وهذا النوع من الحالات كثير التواتر . فالانسان
يضيع الاشياء اذا ما اختلف مع من قدمها اليه وتلاشت رغبته في
التفكير به بعد . وقد يضيعها ان سئمها ورغب في استبدالها بما
هو احسن منها . ويدخل في عداد هذا الموقف من الاشياء
اسقاطها وكسرها وإتلافها . أفمحض مصادفة أن يضيع التلميذ
او يتلف او يكسر شيئا مما يستعمله يوميا ، كحقيبته او ساعته
على سبيل المثال ، عشية عيد ميلاده تحديدا ؟
لا شك في ان من عانى كثيرا من عدم قدرته على الاهتداء الى

موضع الاشياء الذي وضعها بنفسه فيه يشق عليها ان يصدق ان هذه الحوادث محكمة بقصد ما . ومع ذلك ، لا يندر على الاطلاق ان تنمّ الظروف المصاحبة للنسيان عن وجود ميل الى التخلص بصورة مؤقتة او نهائية من الشيء المنسي . وسأسوق واحدة من هذه الحالات ، ولعلها أدل من كل ما عرف او نشر حتى اليوم :

روى لي شاب ان سوء تفاهم وقع بينه وبين زوجته قبل بضع سنوات ، وقال : «كنت اجد زوجتي باردة اكثر مما ينبغي، وكنا نعيش جنباً الى جنب ، بلا حب او حنان ، وان كنت لا انكر عليها خصالها وصفاتها الحميدة . ذات يوم جاءتني ، وكانت عائدة من نزهة ، بكتاب اشترته ، توخيا منها بأنه سيثوقني . فشكرتها على «اهتمامها» ووعدتها بقراءة الكتاب ووضعته في مكان ما . ولكني لم البث ان نسيت المكان الذي وضعته فيه . وتصرفت شهور تذكرت فيها الكتاب مرارا عدة وجهدت للعثور عليه ، ولكن بلا طائل . وبعد ذلك بحوالي ستة شهور مرضت امي ، وكنت احبها حبا جما ، فسارعت زوجتي الى السفر لتقوم على العناية بها . وتفاقت حالة المريضة ، مما اتاح لزوجتي ان تظهر طيب شمائلها . وذات مساء عدت الى بيتي عامراً القلب بالشعور بالرضى عن زوجتي ومفعماً بعرفان الجميل لكل ما فعلته . ودنوت من مكتبي ، وفتحت دون قصد محدد ، لكن بوثوق السائر في نومه ، درجاً بعينه ، فكان اول ما وقع نظري عليه الكتاب المفقود الذي طالما عزّ عليّ الاهتداء اليه» .

هكذا ، وبزوال الدافع ، لم يعد من المتعذر الاهتداء الى المفقود .

بوسعي ، لو شئت، ان اسوق من هذه الامثلة الى غير ما حد، لكنني لن افعل . ففي كتابي **علم نفس امراض الحياة اليومية** (طبعته الالمانية الاولى صدرت عام ١٩٠١) فيض من مختلف انواع

الامثلة لمن يبغى دراسة الهفوات (٨) . وجميع هذه الامثلة تتمخض عن نتيجة واحدة لا تتبدل : ان للهفوات معنى ، وهي تهدينا الى سبل استخلاص هذا المعنى على ضوء الظروف المصاحبة لها . وسالزم جانب الاقتضاب اليوم ، لان كل قصدنا ان نستخلص من هذه الدراسة عناصر تمهيدية للتمرس بالتحليل النفسي . وعليه ، لن احدثكم بعد الا عن مجموعتين من الملاحظات : ملاحظات تتصل بالهفوات المتراكمة والمتراكبة ، واخرى تتصل بتأكيد الاحداث التالية للهفوة صحة تأويلنا لها .

ان الهفوات المتراكمة والمتراكبة تؤلف بلا ادنى ريب اجمل تشكيلة من نوعها . ولو كان كل المطلوب ان نثبت ان للهفوات معنى ومغزى ، لحصرنا اهتمامنا من البداية بهذه الهفوات وحدها ، لان معناها على درجة من الوضوح والجلاء بحيث لا يغيب حتى عن اشد العقول بلادة ، ويفرض نفسه حتى على الازدهان المتشبهة كل التشبث باذيال الروح النقدي . فتراكم التظاهرات ينمّ عن مشاركة يصعب عزوها الى المصادفة ، وتتفق كل الاتفاق ، على العكس ، مع فرضية قصد وغرض . واخيرا ، فان نيابة بعض الهفوات مناب غيرها تدلنا على ان الجانب المهم والاساسي في هذه الهفوات يجب التماسه ، لا في شكلها ولا في الوسائل التي تستخدمها ، وانما في القصد الذي تقوم هي نفسها على خدمته والذي يمكن ان يتحقق بطرق شتى . وسأسوق لكم مثالا على نسيان متكرر : يروي إ. جونز (٩) انه ترك مرة على مكتبه لمدة

٨ - وكذلك في ما جمعه ا. مايدر (بالفرنسية) ، و ا. ا. بريل (بالانكليزية) ، و إ. جونز (بالانكليزية) ، و ج. ستارك (بالهولندية) ، الخ .
٩ - اونست جونز : محلل نفسي بريطاني (١٨٧٩ - ١٩٥٨) ، اشتهر اول الامر بسيرة حياة فرويد التي وضعها باسم حياة فرويد وفكره ، ومؤسس الجمعية البريطانية للتحليل النفسي ، وله دراسات تحليلية في الفن واللفظة =

بضعة ايام ، ولاسباب يجهلها ، رسالة كان قد كتبها . ولما عزم على ارسالها فعلا ونفذ عزمه ، أعادها اليه الـ Dead Letter Office (دائرة الرسائل المهملة) ، لانه نسي ان يضع عليها العنوان . فلما استصلح هذا السهو ، والتقى بالرسالة من جديد في صندوق البريد ، غفل هذه المرة عن لصق الطابع . وعندئذ لم يجد مناصا من الاقرار بينه وبين نفسه بأنه لم تكن له رغبة حقيقية في ارسال الرسالة المذكورة .

وهاكم حالة اخرى يتراكم فيها استملاك الاشياء بطريق الخطأ مع استحالة الاهتداء بعد ذلك الى موضعها . فقد قامت سيدة برحلة الى روما مع صهرها ، وهو رسام مشهور . وقد رحب الالمان المقيمون في روما بالزائر ترحيبا حارا ، واحتفلوا به ، وقدموا اليه ، في جملة الهدايا التي قدموها اليه ، ميدالية ذهبية قديمة العهد . وساء السيدة ان تلاحظ ان صهرها لا يقدر هذه القطعة النفيسة حق قدرها . فلما حضرت اختها الى روما ، فقلت راجعة الى بلدها ، ولاحظت ، وهي تفك حقيبتها ، انها حملت معها الميدالية من دون ان تدري كيف . وعلى الفور بادرت الى اعلام صهرها وابلغته انها ستعيد الميدالية الى روما فسي الغداة . فلما كان الغد تعذر عليها ان تهتدي الى المكان الذي وضعتها فيه ؛ واستحال بالتالي ارسالها . وعندئذ حدثت السيدة بما يعنيه «سهوها» : فهي تود الاحتفاظ بالقطعة النفيسة لها .

لقد سقت اليكم من قبل مثالا يتراكم فيه نسيان مع خطأ: انه مثال ذاك الذي سها عن موعد لمرّة أولى ، فعزم على الا ينساه مرّة

= والانثروبولوجيا ، وقدم مساعدة كبيرة للمحللين النفسيين الذين لجؤوا الى انكلترا فرارا من الاضطهاد النازي . -م-

ثانية ، لكنه لما وافى الى الموعد الثاني رأى انه قدم في غير الساعة المحددة . وقد روى صديق لي ، ممن يهتمون بالعلوم والآداب معا ، قصة حادثة مشابهة من معين حياته الشخصية بالذات . قال : «وافقت ، قبل بضع سنوات ، على ان اكون عضوا في مجلس ادارة احدى الجمعيات الادبية ، اعتقادا مني بأن الجمعية قد تساعدني ذات يوم على تقديم احدى مسرحياتي على المسرح . وصرت كل يوم جمعة احضر جلسات مجلس الادارة ، على غير اهتمام كبير من جانبي . ومنذ بضعة أشهر تأكد لي ان احدى مسرحياتي ستقدم على مسرح ف. . . ، وابتداء من ذلك اليوم صرت أنسى دوما حضور الجلسات المذكورة . لكن لما قرأت ما كتبته عن هذه الامور ، خجلت من مسلكي ، وقلت بيني وبين نفسي الومها انني ما احسنت فعلا بانقطاعي عن الجلسات منذ ان انتفت حاجتي الى المساعدة التي كنت أتأملها . وهكذا عقدت العزم على الا اتخلف عن الحضور يوم الجمعة القادم . وظللت افكر بذلك طول الوقت ، الى ان كان اليوم الذي وجدت فيه نفسي اقف امام باب غرفة الاجتماع . ولشد ما كانت دهشتي لما وجدته مقفلا ، اذ كانت الجلسة قد عقدت بالامس ! والحق انني اخطأت في اليوم وذهبت السبت بدل الجمعة» (١٠) .

ومع انه يودي لو أمضي في سرد امثال هذه الحالات على مسامعكم ، الا اني اكتفي بهذا القدر ، لاستعرض وإياكم بعض حالات من نوع آخر ، وعلى وجه التحديد النوع الذي لا تتأكد فيه صحة تأويلنا الا بما يقع من أحداث تالية له .

غني عن البيان ان الشرط الاساسي في هذه الحالات ان نكون جاهلين بالموقف النفسي الراهن او عاجزين عن اخضاعه لتحريتنا وتقصينا . وعندئذ لا يعدو تأويلنا ان يكون ضربا من التخمين الذي

لا نعلق عليه اهمية كبيرة . لكن لا يلبث ان يطرا في وقت لاحق حادث ما ، فيتبين لنا منه صحة تأويلنا الاول . فقد دعيت يوما الى بيت زوجين شابين ، فروت لي الزوجة اثناء زيارتي ، وهي تضحك ، انها ذهبت في اليوم التالي لعودتها من شهر العسل لزيارة أختها - وما كانت بمتزوجة - لتصطحبها ، كما كانتا تفعلان من قبل ، الى السوق لشراء بعض الحاجات ، فيما الزوج الشاب قد مضى لشؤونه . وعلى حين غرة أبصرت في الجانب الآخر من الشارع برجل يسير ، وقالت لأختها وقد أشكل عليها قليلا : «انظري ، هوذا السيد...» ، وقد سعت عن ان هذا السيد ان هو الا زوجها الذي تزوجته قبل بضعة اسابيع . وقد تركت هذه القصة في نفسي انطبعا مزعجا ، لكني لم اشأ ساعتئذ ان اسلم بالنتيجة التي لاح لي انها تنطوي عليها . ولم استذكر هذه القصة الا بعد تصرف عدة سنوات : فقد علمت يومئذ بالفعل ان زواج الزوجين الشابين قد آل الى نهاية محزنة .

يورد ا. مايدر Maeder حالة سيدة نسيت ، في اليوم السابق لزواجها ، ان تذهب الى الخياطة لتقيس ثوب عرسها ، ولم تستذكر ذلك الا في ساعة متأخرة من الليل . وهو يربط بين هذا النسيان وبين الطلاق الذي أعقب الزواج بقليل . وأعرف بدوري سيدة ، هي اليوم مطلقة ، اتفق لها تكرارا ، قبل الطلاق بمدة طويلة ، ان وقّعت بشهرتها قبل الزواج وثائق تتعلق بإدارة أملاكها . وأعرف حالات نساء آخر أضعن ، اثناء شهر العسل ، خاتم زواجهن ، وهو شيء اسبغت عليه الاحداث اللاحقة دلالة لا لبس فيها . ومما يروى ان كيميائيا المانيا شهيرا ما قيض له ان يعقد قرانه لانه نسي ساعة الاحتفال ، ولانه بدلا من ان يقصد الكنيسة ذهب الى مختبره . وكان على درجة كافية من الحصافة ليكتفي بهذه التجربة اليتيمة ، وقد مات طاعنا في السن وعازبا . لعل الفكر ينحو بكم الى الافتراض بأن الهفوات تنوب ، في

جميع الحالات ، مناب الـ Omina ، او التطير لدى القدامى .
وبالفعل ، ان بعض حالات التطير ما كانت تخرج عن ان تكون
هفوات ، كما عندما يتعثر احدهم او يقع . لكن بعض حالات
التطير الاخرى كان لها طابع الحدث الموضوعي ، لا طابع الفعل
الذاتي . لكن ليس لكم ان تتصوروا كم يصعب احيانا ان نقطع في
ما اذا كان حدث بعينه يندرج في عداد الفئة الاولى او في عداد
الفئة الثانية . فالفعل يعرف في كثير من الاحيان كيف يلبس قناع
الحدث السلبي .

ولعل كل من خلف منكم وراءه ماضيا مديدا حافلا بالتجارب
سيقول بينه وبين نفسه انه ربما كان وفّر على نفسه الكثير من
الخييات والمفاجآت المؤلمة لو تأتت له الشجاعة والعزيمة لتأويل
الهفوات التي تقع على صعيد العلاقات فيما بين الناس على انها
عوارض منذرة ، ولاعتبارها قرائن على مقاصد ونيات لا تزال
دفينة في الصدور . والحق اننا في اكثر الاحيان لا نجروا على
فعل ذلك ، لاننا نخشى ان نظهر بمظهر من يترد الى الخرافات
والمعتقدات الباطلة ، ناكصا عن طريق العلم . وعلى كل حال ، ان
النذر لا تتحقق جميعها ، ومتى ما زدتم معرفة بنظرياتنا فهتمت انه
ليس من الضروري ان تتحقق جميعها .

المحاضرة الرابعة

الهفوات (خاتمة)

للhfوات معنى ومغزى : تلكم هي النتيجة التي لا مناص لنا من التسليم بها باعتبارها خلاصة التحليل السابق ، والتي ينبغي ان نتخذها اساسا لباحثنا التالية . ولنقلها مرة اخرى : اننا لا نؤكد (ومثل هذا التوكيد ليس بضروري من منظور الهدف الذي ننشد) ان كل هفوة لها دلالتها ، ولو كنت اعتقد ان ذلك هو المرجح . حسبنا ان نتحقق من ان هذا الهدف متواتر الوجود نسبيا في مختلف أشكال الهفوات . وهناك على كل حال ، ومن هذا المنظور ، اختلافات بين شكل وآخر . ففلتات اللسان وزلات القلم ، الخ ، يمكن ان يكون لها اساس فيزيولوجي محض ، ولو انه يلوح لي ان هذا ضعيف الاحتمال في مختلف صنوف حالات النسيان (نسيان الاسماء والمقاصد ، تعذر الاهتداء الى موضع

الاشياء ، الخ) . كما ان هناك حالات من الضياع لا يتدخل فيها على الأرجح أي قصد . واعتقد انه من واجبي أن أضيف أن الأخطاء التي ترتكب في مجرى الحياة لا يمكن الحكم عليها بدائية وجهات نظرنا إلا الى حد معين . وأرجو أن تبقى هذه التحديدات ماثلة في أذهانكم حينما نعتمد منطلقا لأبحاثنا التالية الأطروحة القائلة ان الهفوات أفعال نفسية ناجمة عن تداخل قصدين .

تلكم هي النتيجة الأولى للتحليل النفسي . فقبل اليوم لم يكن علم النفس يشتبه على الإطلاق في وجود هذه التداخلات أو يعرف شيئاً عن الظاهرات التي تنشأ عنها . وقد وسّعنا على هذا النحو مساحة العالم النفسي توسيعاً مرموقاً ، وأدرجنا في مضمار علم النفس ظاهرات ما كانت من قبل تدخل في عدادها .

لنقف لحظة أخرى بعد عند الأطروحة القائلة ان الهفوات «أفعال نفسية» . فهل نصادر بهذه الأطروحة على ان للهفوات معنى فحسب ، أم اننا نقصد بها الى ما هو أبعد من ذلك ؟ لا أظن ان ثمة من دأع للتوسع في مدلولها . فكل ما يمكن لنا ان نلاحظه في الحياة النفسية نصفه في الأرجح بأنه ظاهرة نفسية . والمطلوب فقط ان نعرف هل هذه الظاهرة النفسية أو تلك نتيجة مباشرة لعوامل بدنية ، عضوية ، مادية ، وفي هذه الحال تخرج من نطاق البحث السيكولوجي ، أم انها ناشئة بصورة مباشرة عن سيورات نفسية أخرى تكمن فيما وراءها ، وفي مكان ما ، سلسلة العوامل العضوية . هذا الاحتمال الثاني هو الذي يتجه اليه فكرنا حين نصف ظاهرة ما بأنها سيورة نفسية ، ولهذا قد يكون اقرب الى الصواب أن نعطي أطروحتنا الشكل التالي : ان الظاهرة ذات دلالة ، ولها معنى ، أي أنها تنمّ عن قصد ، عن ميل ومنزع ، وتشغل مكانة معينة في سلسلة من العلاقات النفسية .

ثمة ظاهرات أخرى كثيرة تشبه الهفوات ، لكن هذا الاسم لا يصلح لها . ونحن نسميها **بالأفعال العارضة أو الأعراضية**

Symptomatiques . وهي جميعها تتصف بصفات الفعل العديم الدلالة والحاضر ، والمجرد من الاهمية ، وفي المقام الاول ، الفائض عن الحاجة . لكن ما يميزها عن الهفوات بحصر المعنى هو انعدام وجود قصد عدائي ومتعدي يعاكس القصد الاول ويعارضه . ثم انها تتداخل وتلتبس ، من جهة اخرى ، مع الحركات والبوارد التي تفيد في التعبير عن الانفعالات . وتندرج في فئة الافعال العارضة هذه جميع الملامسات التي لا هدف لها في الظاهر والتي تصدر عنا عندما نعبث بملابسنا ، او بأجزاء من جسمنا ، او بأشياء في متناول يدينا ؛ وتدخل في عداد هذه الافعال ايضا الالحان التي نترنم بها ، وبوجه العموم سائر الافعال التي نمسك عنها ، كما بدانها ، بلا دوافع ظاهرة . والحال انني لا اتردد في الجزم بأن جميع هذه الظاهرات دالة ، وقابلة للتأويل بمثل النحو الذي نؤول به الهفوات ، وانها بمثابة نذر وعلائم طفيفة تكشف عن سيورات نفسية اخرى اجلّ شأنها منها ، وانها أفعال نفسية بملء معنى الكلمة . لكن ليس في نيتي ان اطيل الوقوف عند هذا التوسيع لمضمار الظاهرات النفسية : بل أؤثر استئناف تحليل الهفوات التي تضع نصب أعيننا بكل الجلاء المرغوب أخطر مسائل التحليل النفسي .

ان أهم الاسئلة التي طرحناها بصدد الهفوات والتي لم نجب عنها حتى الان هي التالية : قلنا ان الهفوات تنجم عن تداخل قصدين مختلفين ، يمكن وصف اولهما بأنه متعدي عليه وثانيهما بأنه متعدي ؛ فأما المقاصد المتعدية عليها فلا تثير من مشكلة ، وأما فيما يتعلق بالمقاصد المتعدية فيهما ان نعرف في المقام الاول ما طبيعة هذه المقاصد القادرة على التعدي على غيرها ، وفي المقام الثاني ما العلاقات التي تقوم بين المقاصد المتعدية والمقاصد المتعدى عليها .

اسمحوا لي ان اتخذ من جديد فلتة اللسان ممثلا لجنس الهفوات جميعا ، وبأن اجيب أولا عن ثاني السؤالين .

ان العلاقة بين القصدين قد تكون علاقة مضمون ، وفي هذه الحال يناقض القصد المتعدي القصد المتعدي عليه او يصححه او يكمله . او قد لا تكون هناك اية علاقة بين مضامين القصدين ، وعندئذ تكون الحالة أشد غموضا وأكثر اثارا للاهتمام .

ان الحالات التي باتت لنا بها معرفة وحالات اخرى مشابهة لها تتيح لنا ان نفهم بلا مشقة اولى تينك العلاقتين . ففي الغالبية العظمى من الحالات التي ينطق فيها المرء بعكس ما كان يريد قوله ، يعبر القصد المتعدي عن معارضة للقصد المتعدي عليه ، وتمثل الهوة النزاع الناشب بين هذين الميلين اللذين لا توفيق بينهما . «اعلن افتتاح الجلسة ، لكن كان بودي لو افضها» : ذلكم هو معنى فلتة لسان رئيس المجلس . وقد كتبت مرة صحيفة سياسية متهمة بالارتشاء ترد التهمة عن نفسها في مقال كان يفترض ان يتلخص بالعبرة التالية : «يشهد قراؤنا على اننا كنا على الدوام الذائدين عن الصالح العام لغير غرض في انفسنا» . لكن المحرر المكلف بكتابة الرد اسقط كلمة غير وكتب يقول : «يشهد قراؤنا على اننا كنا على الدوام الذائدين عن الصالح العام لغرض في انفسنا» . وعندي ان المحرر قد كشف لنا بذلك عن دخيلة نفسه : «مفروض في أن اكتب شيئا ، لكنني أعرف ان العكس هو الصحيح» . وقد اراد مرة احد النواب ان يعلن ان الحقيقة لا بد ان تقال للامبراطور بلا تخاذل ، لكنه سمع للحال صوتا داخليا يحذره من اجترائه هذا ، فاذا بلسانه يهفو ويستبدل عبارة «بلا تخاذل» Ruckhaltlos بعبارة «بلا تطاول» Ruckgratlos (١) .

اما في الحالات التي يكون فيها قوام فلتة اللسان الادغام او الاختصار - وهي حالات تعرفونها - فالمسألة هي مسألة

تصحیحات وإضافات ومتابعات یفصح فیها قصد ثان عن وجوده الى جانب القصد الاول . «انكشفت أمور كثيرة ؛ كلا ، كان قصدي ان اقول : شريرة ، فكانت النتيجة : انكشرت» . «من یفهم ذلك من الناس یمكن ان يعدوا على اصابع يد واحدة ؛ كلا ، الحق انه لا یوجد سوى شخص واحد یفهم هذه الاشياء ؛ اذن فالاشخاص الذين یفهمونها یمكن ان يعدوا على اصبع واحدة» . او كذلك : «یستطیع زوجي ان یأكل ویشرب ما یشاء ؛ لكني لا اطیق ، كما تعلمون ، ان یشاء شیئا ما؛ اذن فلا بد ان یأكل ویشرب ما یشاء» . والفلته ، فی هذه الحالات جمیعا ، انما تنجم ، كما تعاینون ، عن مضمون القصد المتعدی علیه بالذات او ترتبط به ارتباطا مباشرا . أما النوع الثاني من العلاقات بین القصدین المتداخلین فیبדو غریبا بالاحرى . فان لم یكن بین مضمونهما رابط ما ، فما مصدر القصد المتعدی ، وكيف له ان یظهر اثره التعكیری فی نقطة محددة بعینها ؟ تتيح لنا الملاحظة ، وهي وحدها القمينة بالاجابة عن هذا السؤال ، ان نتحقق من ان التعكیر ینشأ عن تیار افكار كان یشغل ذهن الشخص المعنی قبیل الفلته ، وانه اقترح علیه خطابه بتلك الطریقة الخاصة ، فقد كان من الممكن ایضا (ولا اقول من الضروري) ان یلبس تعبیرا آخر . ونحن هنا امام صدی بملاء معنى الكلمة ، لكنه لیس بالضرورة وعلى الدوام صدی لكلمات منطوقة . وعليه ، توجد هنا ایضا رابطة تداعٍ بین العنصر المتعدی والعنصر المتعدی علیه ، لكن هذه الرابطة ، بدل ان یكون المضمون مصدرها ، اصطناعیة خالصة ، وینبع تكوينها من تداعیات قسریة .

هاكم مثالا بسیطا لاحظته بنفسی . التقيت ذات یوم فسی جبال الدولومیت الجمیلة سیدتین فییناوبتین ترتدیان ملابس السیاح . فصاحبتهما بعض الطریق ، وتبادلنا أطراف الحديث عن متع الحیاة السیاحیة ومتاعبها . واقرت احدى السیدتین بأن یوم السائح لا یخلو من مضایقات ، وقالت : «صحيح انه لیس من

المتع ان يسير المرء طول النهار تحت وهج الشمس حتى يبتل من العرق سترته و قميصه و...» . ولما وصلت الى هذه الكلمات الاخيرة ترددت قليلا ، ثم اردفت تقول : «لكنه عندما يعود بعد ذلك الى سرواله Nach Hose (بدلا من ان تقول : الى بيته Nach Hause) و يبدل ملابسه ...» . نحن لم نحلل بعد فلتة اللسان هذه ، لكنني لا ارى من ضرورة لذلك . فقد كانت المرأة تقصد ، في جملتها الاولى ، ان تمضي في التعداد : السترة ، القميص ، السروال (Hose) . غير ان داعي الحياء دعاها الى الامساك عن ذكر اللباس الداخلي الاخير هذا ؛ فلما نطقت بجملتها التالية ، وهي مستقلة تماما في مضمونها عن الاولى ، ظهرت فيها كلمة Hose ، التي امسكت عن النطق بها في اللحظة المرامية ، وكان ظهورها على شكل تحريف لكلمة Hause .

في استطاعنا الان ان نعود الى السؤال الرئيسي الذي طالما ارجانا النظر فيه ، واعني به : ما تلك المقاصد التي تفصح عن نفسها على هذا النحو الغريب بتعديها على مقاصد غيرها ؟ من البديهي انها مقاصد متباينة اشد التباين ، لكننا نريد مع ذلك ان نستخلص سماتها المشتركة . فلو درسنا على ضوء ذلك طائفة من الامثلة ، لاتضح لنا بسرعة انها قابلة للتصنيف في ثلاث مجموعات . المجموعة الاولى تدخل في نطاقها الحالات التي يكون فيها القصد المتعدي معروفا للمتكلم ، علاوة على ارهاصه به قبل ان يهفو لسانه . وتضم المجموعة الثانية الحالات التي لا يعرف فيها المتكلم ، مع اقراره بأن القصد المتعدي صادر عنه ، ان هذا القصد كان نشطا يفعل فعله في دخيلته قبل ان يزل لسانه بالهفوة . انه يقبل اذن بتأويلنا لهذه الاخيرة ، لكنه لا يملك الا ان يعرب عن دهشته منه . ولعله ايسر علينا ان نجد امثلة لهذا الموقف في هفوات اخرى غير فلتات اللسان . اما المجموعة الثالثة فتضم حالات يحتج فيها الشخص المعني بقوة على التأويل الذي

نعرضه عليه : فهو لا يكتفي بنفي وجود القصد المتعدي قبل وقوع الفلته ، بل يؤكد ايضا ان هذا القصد غريب عنه كل الغربة . تذكروا اقتراح ذلك المساعد الشاب بشرب «شخب» الرئيس ، ورده الجافي عليّ حين اوضحت لشارب هذا النخب طبيعة القصد المتعدي . وتعرفون اننا لم نفلح بعد في الاتفاق على كيفية فهم هذه الحالات . وفيما يتعلق بي ، فان احتجاج المساعد الشاب ، شارب النخب ، لا يشوش عليّ فكري ولا ينهاني عن التمسك بتأويلي، وذلك ربما بخلاف حالكم انتم : فلعلكم تتساءلون، وقد هالكم انكاره ، عما اذا لم يكن من الخير ان نقلع عن طلب تأويل لحالات من هذا النوع وأن نرى فيها محض أفعال فيزيولوجية ، بالمعنى الذي كان لهذه الكلمة قبل عهد التحليل النفسي . ولا يشق عليّ أن أتكهن بعلّة موقفكم هذا . فالتأويل الذي أتقدم به يترتب عليه ان الشخص المتكلم قد يفصح عن مقاصد ونيات يجهلها هو نفسه ، بينما أقدر أنا على استنتاجها من قرائن معينة . وأنتم تترددون في قبول هذه الدعوى الغريبة والمثقلة بالعواقب . ومع ذلك ، لو شئتم ان تبقوا ملازمين جانب المنطق في تصوركم للهفوات ، القائم على كثرة من الامثلة ، يتعين عليكم ألا تترددوا في قبول هذه الدعوى ، مهما بدت لكم مغربة : فان تعذر عليكم ذلك ، فما عليكم الا ان تنفضوا أيديكم من فهم الهفوات ، على ما استأداكم من مشقة وعناء .

لنقف لحظة عند ما يربط بين المجموعات الثلاث التي تقدم بيانها ، أي عند ما هو مشترك بين الاواليات الثلاث لفلته اللسان . من حسن الحظ ان يكون لدينا ، من هذا المنظور ، واقعة تقف فوق كل شبهة . ففي المجموعتين الاوليين ، يعترف الشخص المتكلم نفسه بالميل المتعدي ؛ ناهيك عن ان هذا القصد المتعدي يفصح عن نفسه في المجموعة الاولى قبل وقوع الفلته مباشرة . لكن القصد المذكور يكون في المجموعة الاولى كما فسي الثانية مقموعا . وبما ان الشخص المتكلم عقد العزم على عدم السماح له

بالافصاح عن نفسه في كلامه ، نراه يتورط في فلتة لسان ، اي ان
القصد المقموع يشف عن وجوده رغم انف الشخص المعني ، إما
بتعديله القصد المجهور به ، واما بالاختلاط والالتباس به ، واما
اخيرا بالحلول محله . تلكم هي اذنية الفلته .

ان وجهة نظري هذه تتيح لي ان افسر بالأولية نفسها حالات
المجموعة الثالثة . فما عليّ الا ان افترض ان الفارق الوحيد
القائم بين مجموعاتي الثلاث فارق في درجة قمع القصد المتعدي .
ففي المجموعة الاولى يكون القصد موجودا ومدركا من قبل الشخص
المتكلم قبل تظاهره ، وعندما يحدث القمع يقتص منه القصد
لنفسه بفلته اللسان . وفي المجموعة الثانية يكون القمع أشد
وافعل ، فلا يتنبه الشخص المتكلم لوجوده قبل بدء التكلم .
والدهش في الامر ان هذا القمع ، على عمقه ، لا يمنع القصد من
المشاركة في استحداث الفلته . وهذا ما يسهل علينا كثيرا تفسير
ما يجري في المجموعة الثالثة . ولن أحجم حتى عن الادعاء بأن
الهفوة قد تكون تعبيرا عن قصد قمع منذ زمن بعيد ، بل منذ زمن
بعيد جدا ، بحيث لا يعود الشخص المتكلم يفتن الى وجوده
اصلا ، ويكون صادقا الى حد كبير عندما ينكر هذا الوجود .
لكن لو صرفنا النظر عن المشكلة المتعلقة بالمجموعة الثالثة ، فلن
يكون امامنا من مناص من التسليم بالنتيجة التي تفرضها ملاحظة
حالات اخرى ، وهي ان قمع الميل الى قول شيء ما هو الشرط
اللازم لحدوث الفلته .

بوسعنا ان نقول الان اننا احرزنا تقدما جديدا في فهم
الهفوات . فنحن لا نعرف فحسب ان هذه الهفوات افعال نفسية
ذات معنى وتنطوي على قصد ، وانها تنجم عن تداخل قصدين
متباينين ، بل نعرف ايضا ان احد هذين القصدين لا بد ان يكون
قد تعرض لشيء من القمع قبل النطق بالكلام كيما يتأتى له ان
يتظاهر بتعديله على القصد الآخر . ولا بد ان يكون قد عانى هو

نفسه من التعدي حتى يتمكن بدوره من التعدي على غيره . وغني عن البيان ان هذا لا يوفر لنا فهما كاملا بعد للظواهر التي نسميها بالهفوات . بل سرعان ما تعرض لنا مسائل اخرى ، ونستشعر بصفة عامة اننا كلما تقدمنا في دراستنا انفسح المجال امامنا لطرح المزيد من المسائل الجديدة . فبوسعنا ان نتساءل ، على سبيل المثال ، ان لم تكن الامور تجري على منوال ايسر بكثير . فعندما يعزم المرء على قمع قصد معين ، بدلا من ان يتركه يفصح عن نفسه ، فالمفروض ان تواجهنا حالة من اثنتين : إما ان ينجح القمع ، وعندئذ لن يظهر شيء من القصد المتعدي ؛ واما ان يفشل القمع ، وعندئذ لا مفر من ان يفصح هذا القصد عن نفسه على نحو سافر وكامل . لكن الهفوات تنجم عن تسوية وحل وسط ؛ فهي تدل ان القمع حقق نجاحا جزئيا ومني بفشل جزئي ، وان القصد المهدد ان لم يكن قد انتفى بتمامه فقد جرى قمعه بالقدر الذي يكفي ليحول بينه وبين التظاهر كما هو ، بلا تحريف ، فيما عدا حالات استثنائية . ومن حقنا ان نفترض ان حدوث ذلك التداخل او تلك التسوية على اساس الحل الوسط مرهون ببعض شروط خاصة ، لكننا لا نملك اية فكرة عن طبيعة هذه الشروط . ولا اعتقد ان المزيد من التبحر في دراسة الهفوات من شأنه ان يساعدنا على اكتشاف هذه الشروط المجهولة . فللوصول الى هذه النتيجة ، لا بد لنا ان نرود ونستكشف بالاول مناطق مظلمة اخرى من الحياة النفسية ؛ ووجدها التشابهات التي سنقع عليها فيها ستمدنا بالشجاعة اللازمة لصياغة الفرضيات القمينة بإيصالنا الى تفسير اكمل للهفوات . لكن هناك شيئا آخر : فحتى عندما ينهض عملنا وبحثنا على قرائن طفيفة - شأننا هنا - نبقي عرضة لبعض الاخطار . واذكر بهذا الصدد ان هناك مرضا نفسيا يسمى **بالبارانويا التركيبية** ، والمصاب به يسرف اسرافا شديدا لا حد له في استخدام القرائن الطفيفة ، ولا يسعني بطبيعة الحال ان اجزم بان كل النتائج التي تستنتج منها صحيحة . ولن يتسنى

لنا ان نتفادى هذه المخاطر الا اذا بنينا ملاحظتنا على اعرض
اساس ممكن ، وذلك بفضل تكرار الانطباعات عينها ، كائنا ما كان
مضمار الحياة النفسية الذي نروده ونستكشفه .

سنوقف اذن هنا عن تحليل الهفوات . غير اني سأوصيكم
بما يلي : ان احفظوا في ذاكراتكم الطريقة التي عالجتا بها هذه
الظواهرات على انها أنموذج . وعلى ضوء هذه الطريقة يتسنى لكم
من الان ان تتبينوا ما المقاصد التي يرمي اليها علمنا النفسي .
فنحن لا نريد فقط ان نصف الظواهرات ونصنفها ، بل نبغي ايضا
ان ننظر اليها على انها قرائن على اصطراع قوى بعينها في النفس،
وعلى انها تعبير عن ميول تسعى الى بلوغ هدف محدد ، إما
متضافرة واما متنافرة . وما نسعى اليه نحن هو تكوين **تصور**
دينامي عن الظواهرات النفسية . وعندنا ان الظواهرات الواقعة تحت
الادراك لا بد ان تكون ضئيلة الاهمية بالمقارنة مع الميول المفترضة
افتراضا لا غير .

لن نمضي اذن في دراسة الهفوات ؛ غير انه لا يزال بوسعنا
ان نقوم في هذا الميدان بجولة خاطفة نلتقي فيها بأشياء معروفة
لدينا من قبل ، ونكتشف بعض اشياء اخرى جديدة . وتمهيدا
لذلك نعلن من جديد تمسكنا بالتقسيم الثلاثي الذي اعتمدناه في
مستهل مبحثنا : أ - فلتة اللسان وتفرعاتها الى زلات قلم
وأغلاط قراءة وسوء سمع ؛ ب - النسيان وتفرعاته بحسب
الموضوع المنسي (أسماء الأعلام ، الألفاظ الأجنبية ، المشاريع ،
الانطباعات) ؛ ج - الإخطاء *Méprise* ، تضییع الأشياء ،
واستحالة الاهتمام الى موضعها . أما الأغلاط فلا تعنينا الا من
حيث ارتباطها بالنسيان ، او بالإخطاء ، الخ .

لقد أسهبنا في الكلام عن فلتة اللسان ، ومع ذلك لا يزال
لدينا ما نود ان نضيفه بصدها . ففلتة اللسان ترتبط بها ظواهرات
وجدانية طفيفة ليست غفلا من الاهمية . فالمرء لا يعترف عن طيب

خاطر بأنه تورط في فلتة لسان ، وكثيرا ما يتفق له ان يفوته سماع الفلتة التي هفا بها لسانه ، بينما لا يفوته البتة سماع الفلتة التي يهفو بها لسان غيره . كذلك فان الفلتة معدية الى حد ما ؛ فليس يسيرا على المرء ان يتكلم عن الفلتات من دون ان يتورط هو نفسه في واحدة منها . وحتى الفلتات العادمة الدلالة ، والتي لا تعلمنا شيئا ذا بال عن السيرورات النفسية الخفية ، لها مع ذلك اسبابها التي لا يعسر كشفها . فحين يقع المرء في اضطراب ما وهو ينطق بكلمة بعينها ، كأن يقصر حرف مد ، نراه لا يتخلف عن مد حرف القصر التالي مباشرة ، مرتكبا بذلك فلتة جديدة ترمي الى التعويض عن الاولى . وكذلك الامر عندما يدغم المرء عن خطأ او اهمال حرفين متماثلين متتاليين : اذ نراه يعمل على تصحيح خطئه بفكه ادغام الحرف المضعف التالي مباشرة ؛ فكأنني بالشخص المتكلم يحرص على ان يظهر لسامعه انه يعرف لغة قومه وأنه ليس ممن يستهينون بالنطق الصحيح . فالتحريف الثاني ، الذي يسعنا وصفه بأنه تمويضي ، يهدف على وجه التحديد الى لفت انتباه السامع الى التحريف الاول والى إفهامه انه تنبه له هو نفسه . ان ابسط انواع الهفوات وأكثرها تواترا وانعدام دلالة تكمن في ادغامات واستباقات تطرا على أجزاء غير بارزة من الكلام . فالفلتة التي يهفو بها لسان المرء ، اثناء نطقه بجملة طويلة بعض الشيء على سبيل المثال ، هي ان يلفظ استباقا بآخر كلمة مما يريد قوله . وهذا يوحى وكأن الشخص المتكلم ضاق ذرعا بالجملة ، فأراد انهاءها كيفما اتفق ، وينمّ اجمالا عن نفور الشخص المعني من توصيل هذه الجملة او عن رغبة في الامساك عن الكلام نهائيا . وهذا يقودنا الى الحالات التي هي بين بين والتي يتلاشى فيها الفارق بين التصور التحليلي النفسي لفلتة اللسان وبين تصورها الفيزيولوجي المعتاد . ونحن نزعّم ان هذه الحالات تطوي على ميل يشوش القصد المفروض بالكلام ان يفصح عنه ويتعدى عليه ؛ لكن هذا الميل يعلن عن وجوده فقط ، وليس عن

الهدف الذي ينشده . أما التشويش الذي يحدثه فيجري فسي
قناة بعض المؤثرات الصوتية او بعض التداعيات اللفظية ، ومن
الممكن اعتباره وسيلة لصرف الانتباه عما يراد قوله . لكن لا
تشتيت الانتباه هذا ، ولا تداعيات الالفاظ هذه ، بكافيين لتحديد
طبيعة السيورة . ولئن كان كلاهما ينعان عن وجود قصد متعدي ،
الا اننا لا نستطيع ان نعرف شيئا عن طبيعة هذا القصد من
مفاعيله وآثاره ، كما نستطيع ذلك في الحالات الواضحة الثابتة .
اطرق الان باب كبوات القلم التي تشبه فلتات اللسان الى حد
يتعذر معه ان تمدنا بوجهة نظر جديدة . لكن لنحاول مع ذلك ان
نبش ما يمكن نبشه في هذا المضمار . فالاغلاط ، والادغامات ،
وتسبيق رسم الكلمات ، وعلى الاخص الكلمات التي يفترض ان
يأتي ترتيبها في الاخير ، كل هذه الظواهر تشهد بجلاء على
سأم من الكتابة وعلى جزع الى الفراغ منها ؛ فاذا كانت مفاعيل
كبوة القلم ونتائجها اكثر بروزا ، امكن لنا ان نتعرف طبيعة الميل
المتعدي وقصده . ونحن نعرف بصفة عامة ، حين تقع على زلة
قلم في رسالة ، ان الشخص الذي كتب هذه الرسالة لم يكن في
حالته الطبيعية مئة بالمئة ؛ ولكننا لا نستطيع دائما ان نعرف ما
كان خطبه . ومن يزل به قلمه ، مثله مثل من يهفو به لسانه ،
نادرا ما يتنبه الى خطئه . وهنا ننوه بالملاحظة التالية المشيرة
للاهتمام : فهناك من الناس من درج على معاودة قراءة ما يخطه من
الرسائل قبل ارسالها ؛ ومنهم من لا يفعل ذلك ، ولكن ان اتفق له
ان عاود القراءة ، تسنى له دوما ان يعثر على غلطة فاضحة وأن
يصححها . فكيف نفسر هذا الامر ؟ لكاني بهؤلاء الاشخاص يعرفون
ان قلمهم كبا بهم وهم يكتبون . فهل لنا ان نسلم بهذا فعلا ؟
أما الاهمية العملية لزلات القلم فتتضح من المشكلة الطريفة
التالية . فلعلكم تذكرون قصة السفاح ه الذي اوهم الناس بأنه
اختصاصي في دراسة الجرائم ، فكان يحصل من المعاهد العلمية

على جرائيم مزروعة ذات اثر إمراضي شديد الخطورة ، ويسخر هذه المزروعات للقضاء بمثل هذه الطريقة العصرية جدا على من تجمعهم وإياه صلة جوار من الناس . وقد وجه هذا الرجل يوما الى ادارة معهد من تلك المعاهد رسالة يتشكى فيها من عدم فعالية المزروعات التي أرسلت اليه ، لكن قلعه كبا به ، فكتب : « فسي تجاربي على الجيران » ، بدلا من « تجاربي على الفيران » . وقد استرعت هذه الزلة انتباه اطباء المعهد المذكور . ولكن من دون ان يستخلصوا منها ، على حد ما أعلم ، أي استنتاج . افلا تعتقدون انه كان من المرجى لو اتخذ الاطباء من هذه الزلة اعترافا وإقرارا، وطالبوا بتحقيق كان من شأنه ان يضع في وقت مبكر حدا لجرائم ذلك السفاح ؟ الا ترون ان الجهل بتصورنا للهفوات كان في تلك الحالة سببا في تأخير يوسف له أشد الاسف ؟ اما فيما يتعلق بي ، فما كانت تلك الزلة لتفوتني من دون ان تبتعث في نفسي ريبة كبيرة ؛ لكن اتخاذها إقرارا واعترافا تنهض دونه عقبات كآداء . فالامر ليس من البساطة ما يبدو . فزلة القلم قرينة لا مرأ فيها، لكنها لا تكفي وحدها لتبرير فتح تحقيق جنائي . صحيح انها تشهد على ان الرجل مشغول البال بفكرة نقل العدوى الى أقرانه، لكنها لا تبيح لنا ان نفصل في ما اذا كانت هذه الفكرة صادرة عن خطة مبيتة لاقتراف الشر ، ام هي مجرد تخيل لا تترتب عليه اية نتيجة عملية . بل من المحتمل ان يجد الرجل الذي تورط في زلة القلم تلك خير الحجج الذاتية لإنكار هذا التخيل وللتنصل منه كما لو كان غريبا عنه كل الغربة . وستزدادون فهما لهذه الاحتمالات والامكانيات متى ما عرضنا لاحقا للفارق بين الواقع النفسي والواقع المادي . على ان هذا لا يغير شيئا في واقع ان الحالة التي فصلناها هي من الحالات التي تكتسب فيها الهفوة في زمن تال أهمية غير منتظرة .

وان انتقلنا الان الى عشرات القراءة ، واجهنا موقف نفسي يختلف اختلافا بيّنا عنه في فلتات اللسان وكبوات القلم . فأحد

القصدين المتصارعين ينوب منابه هنا تنبيه حسي ، وهذا ما يجعله أضعف مقاومة . فما نقرؤه لا ينبثق من حياتنا النفسية ، نظير الأشياء التي قد نشاء كتابتها . لذا يكون قوام عثرات القراءة في أغلب الاحوال ابدالا شاملا . فالكلمة المطلوب قراءتها تستبدل بأخرى ، من دون ان تكون هناك بالضرورة صلة مضمون بين النص وبين محصلة الخطأ ، على اعتبار ان الإبدال يتم بوجه عام بدالة تشابه بسيط بين الكلمتين . ومثال ليختنبرغ ، الذي كان يقرأ Agamemnon بدلا من Angenommen ، خير ما يمكن سوقه من أمثلة على هذه الفئة من الهفوات . وان شئنا ان نكتشف القصد المتعدي ، المتسبب في العثرة ، فلا بد ان نضرب صفحا عن النص المغلوطة قراءته وان نبدا الفحص التحليلي بطرحنا هذين السؤالين : ما اول فكرة تخطر بالبال ، وتكون اقرب الفكرات الى العثرة ؟ وما الوضع الذي تحدث فيه هذه العثرة ؟ وقد تكون معرفة الوضع كافية احيانا بحد ذاتها لتفسير العثرة . ومن ذلك ان رجلا كان يتجول في مدينة غريبة ، فألحت عليه حاجة طبيعية، فأبصر في أعلى الطابق الاول من احد المنازل لافتة كتب عليها : « مرحاض » Closet Haus . وما كادت تأخذه الدهشة لوجود اللافتة على مثل هذا الارتفاع ، حتى ادرك انه كان ينبغي ان يقرأ «محل مشدات خصور» Corset Haus . وفي حالات اخرى ، تتطلب العثرة ، على وجه التحديد لانها مستقلة عن مضمون النص، تحليلا معمقا لا يصل الى مبتغاه ما لم يكن القائم به متمرسا بتقنية التحليل النفسي وله بها ثقة . لكن تفسير عثرة القراءة أيسر من ذلك شأنا بكثير في غالب الاحوال . فكما في مثال ليختنبرغ تنم الكلمة البديلة بغير عناء (أغاممنون بدلا من أنفيونوم) عن تيار الافكار الذي كان مصدر التشويش . وكثيرا ما يتفق للمرء ، في زمن الحرب مثلا ، ان يقرأ اسماء مدن وقادة عسكريين وتعايير عسكرية من تلك التي تفرع سمعه في كل آن وحين، كلما وقع نظره على

كلمات بها بعض الشبه بتلك الاسماء والتعابير . فما يشغل بالنا ويستأثر باهتمامنا يحل محل ما هو غريب عنا وما لا نأبه له بعد . فانعكاسات افكارنا تشوش علينا ادراكاتنا الجديدة .

وكثيرا ما تقع عثرات في القراءة عندما يوقظ النص المقروء نفسه نزعة متعددة غافية ، لا تعتم ان تحرّقه وان تقلبه في اكثر الاحيان الى نقيضه . ومثل هذه العثرات تنم عن عدم رغبة في القراءة ، والتحليل كفيل بأن يظهر لنا ان الرغبة المضطومة في نحاسي المقروء هي المسؤولة عن تحريفه .

ان العاملين اللذين عزونا اليهما دورا هاما في الهفوات لا يلعبان في اكثر عثرات القراءة ذيوعا ، من اشباه تلك التي ذكرناها في مستهل هذه الفقرة ، سوى دور ثانوي للغاية : ونعني بهذين العاملين النزاع بين القصدين وقمع احدهما قمعا يجبره على الرد بالتظاهر من خلال الهفوة . ولا نقصد بذلك ان في عثرات القراءة ما يتعارض وهذين العاملين، وانما يكون إلحاح تيار الافكار الذي يتسبب في عثرة القراءة اقوى بكثير من القمع الذي يكون هذا التيار قد تعرض له من قبل . وأجلى ما يكون تأثير العاملين المشار اليهما في الظروف المختلفة التي تحدث فيها الهفوة الناشئة عن النسيان .

ان نسيان المقاصد والمشاريع ظاهرة لا يصطدم تفسيرها بآية صعوبة، ولا يعاري فيه حتى عامة الناس، كما أسلفنا البيان . فالميل الذي يشوش تنفيذ مشروع من المشاريع هو على الدوام قصد مضاد ، رغبة معاكسة ، وكل المطلوب منا ان نعرف لماذا لا تفصح عن نفسها على نحو مغاير وبصورة اقل تنكرا وخفاء . وقد نفلح احيانا في معرفة شيء عن الاسباب التي تقتضي اخفاء تلك الرغبة المضادة : ذلك انها عندما تتنكر تدرك على الدوام هدفها وتحققه في الهفوة ، في حين انها تعرف عن ثقة بانها ستتحى جانبيا وتنبذ فيما لو اعلنت عن نفسها بصفتها رغبة مناوئة سافرة . واذا ما طرأ ، في الفترة الفاصلة بين التصميم على مقصد من المقاصد

وبين تنفيذه ، تغير هام في الموقف النفسي ، من شأنه ان يلغي الحاجة الى تنفيذ هذا المقصد ، فان نسيان هذا الاخير لا يعود ضربا من الهفوة ، كما لا يعود يثير الاستغراب ، اذ يغدو واضحا للعيان ان تنفيذ المقصد امر لا طائل فيه في ظل الموقف النفسي المستجد . والحق انه لا يجوز لنا اعتبار نسيان المقاصد ضربا من الهفوات الا في الحالات التي لا نعتقد فيها بوجود مثل هذا التغير في الموقف .

ان حالات نسيان المقاصد هي بوجه عام على درجة من الجلاء ووحدة النمط بحيث لا تنطوي على فائدة بالنسبة الى مبحثنا هذا . بيد ان دراسة هذا الصنف من الهفوات يمكن ان تفيدنا بشيء جديد في ناحيتين . فقد قلنا ان النسيان ، اي عدم تنفيذ مقصد من المقاصد ، ينمّ عن رغبة مضادة مناوئة له . وهذه حقيقة ثابتة ، لكن الرغبة المضادة يمكن ان تكون ، بحسب ما نستدل به من بحوثنا ، مباشرة او غير مباشرة . وخير ما نفعله لإيضاح ما نغنيه بالرغبة غير المباشرة ، ان نسوق مثالا او مثالين . فعندما ينسى الوصي ان يزكي ربيبه لدى شخص ثالث ، فقد يكون مرد نسيانه الى انه لا يهتم لربيبه اهتماما فعليا ، فلا تساوره رغبة حقيقية في تزكيته . او هكذا على الاقل سيفسر الربيب نسيان الوصي . لكن الوضع قد يكون اكثر تعقيدا . فقد يكون عزوف الوصي عن تنفيذ ما عزم عليه نابعا من مصدر آخر وقابلا للتفسير على نحو آخر . وعلى الاخص ، قد لا يكون للربيب من ضلع بالنسيان الذي قد يكون متعينا بدوره ، في هذه الحال ، بأسباب تتعلق بالشخص الثالث . وانتم ترون من هذا مدى ما قد يكون من صعوبة في الاستخدام العملي لتأويلاتنا . فالربيب، رغم صحة تأويله، يعرض نفسه لخطر الاسراف في الريبة ووقوف موقف غير منصف من وصيه . خذوا ايضا مثل شخص ضرب موعدا لآخر ، وعقد العزم على موافاته اليه ، ثم أخلف وعده من

جاء النسيان . ان تفسير هذا النسيان ينبغي البحث عنه في معظم الحالات ، وبحسب ظاهر الحق ، في وهن الود الذي يكنه الناسي للشخص الذي كان يفترض به ان يلاقيه . لكن قد يدل التحليل ، في هذه الحال ، ان القصد المتعدي لا صلة له بالشخص المضروب له الموعد ، بل بالمكان الذي ضرب فيه هذا الموعد ، وان المخلف وعده كان يعاف التواجد فيه لارتباطه بذكرى مؤلمة . وهاكم مثالا آخر : فحين ينسى المرء ان يرسل رسالة كتبها ، فقد يكون مرد القصد المتعدي الى مضمون الرسالة ذاته ؛ لكن من الممكن ايضا ان يكون هذا المضمون عاديا تماما بحد ذاته ، لكنه ينطوي على شيء يذكر بمضمون رسالة اخرى ، كتبت في زمن سبق ، فيتحول مباشرة الى مصدر للقصد المتعدي ؛ وعندئذ يجوز لنا القول ان الرغبة المضادة امتدت من الرسالة السالفة - حيث كان لها ما يبررها - الى الرسالة اللاحقة التي لا تبررها على الاطلاق . وهكذا ترون انه لا مناص لنا من مراعاة الحذر والحيطه ، حتى في تأويلاتنا التي تبدو في الظاهر على درجة كبرى من الصحة والدقة ؛ ذلك ان ما يكون ذا مدلول واحد من وجهة النظر السيكولوجية ، يمكن ان يكون قابلا لتأويلات عدة من وجهة النظر العملية .

قد يلوح لكم ان امثال هذه الظاهرات التي حدثتكم عنها خارقة للمألوف . وقد تتساءلون عما اذا لم تكن الرغبة المضادة «اللامباشرة» هي التي تضفي طابعا مرضيا على السيورة . لكن بوسعي ان اجزم لكم ان هذه السيورة لا تتنافى ايضا مع حالة الصحة والسواء . غير اني ارجو ان تحسنوا فهمي . فلست اميل بحال الى التسليم بأن تأويلاتنا التحليلية تكتنفها الريبة ولا يركن اليها . وامكانية تعدد تأويلات نسيان المقاصد تبقى قائمة فقط ما دمنا لما نشرع بعد بتحليل الحالة ، وما دامت تأويلاتنا لا تستند الى اساس غير فرضياتنا ذات الصفة العامة . أما عندما ننكب على تحليل الشخص المعني ، فاننا نتحقق مما اذا كانت الرغبة المضادة

مباشرة ونعرف بتيقن كاف ما المصدر الذي تنبع منه .
هذا من ناحية اولى ؛ اما من الناحية الثانية فاننا متى ما
ثبتنا من ان نسيان المقاصد يرتد في عدد كبير من الحالات الى
رغبة مضادة ، كان لنا في هذا ما يشجعنا على تعميم النتيجة
نفسها على سلسلة اخرى من الحالات التي لا يكتفي فيها الشخص
المحلل بعدم تأكيد وجود الرغبة المضادة التي استنتجناها ، بل
ينكرها ايضا انكارا باتا . خذوا مثالا على ذلك كثرة الحالات التي
ينسى فيها المرء ان يعيد الكتب التي استعارها ، او ان يدفع
الفواتير ، او ان يسدد الديون . من الواجب اذن ان تكون لنا
الجرأة على مجاهرة الشخص المعني بأنه عاقد النية في دخيلة
نفسه على الاحتفاظ بالكتب وعلى عدم تسديد الديون ، حتى وان
انكر هذا الشخص ما ننسبه اليه من نية ، ولكن من دون ان يقدر
على تعليل مسلكه لنا بأسباب اخرى . اننا سنقول له ان هذه
نيته ، وان كان لا يظن اليها ، وانه حسينا نحن ان تنم عن
نفسها بمفعول النسيان . وسيجيبنا الشخص المعني انه لهذا على
وجه التحديد لا يتذكرها . وهكذا تروننا ننتهي الى وضع كنا قد
مررنا به من قبل . فحرصنا على المضي بتأويلاتنا للنفقات الى
نهاياتها المنطقية، على ما تتسم بهذه التأويلات من تنوع وما ترتكز
اليه من مسوغات ، قادنا الى الافتراض بأنه توجد لدى الانسان
ميول ونزعات قادرة على ان تفعل فعلها من دون علمه ودرايته .
لكننا بصياغتنا هذه الاطروحة وقفنا موقف المعارضة من جميع
التصورات المعتمدة الشائعة في الحياة وفي علم النفس .

ان نسيان اسماء الاعلام والاسماء والالفاظ الاجنبية ، قابل
بدوره للتفسير بقصد معاكس يرتبط بصورة مباشرة او غير
مباشرة بالاسم او باللفظ المنسي . وقد ضربت لكم آنفا عدة امثلة
على النفور المباشر من الاسماء والالفاظ . لكن التعمين الالمباشر
هو الغالب في هذا النوع من حالات النسيان ، ولا سبيل في اكثر

الاحوال للكشف عنه الا بتحليل دقيق . هكذا وجدنا الحرب
الاخيرة ، بما اضطررنا اليه من العزوف عن كثير من مباحثنا
السالفة ، قد خلقت في نفوسنا متداعيات غريبة عجيبة كان من
نتيجتها إصابتنا بالوهن في تذكر اسماء الاعلام . فقد اتفق لي
مؤخرا ان عجزت عن استذكار اسم مدينة بيزنس **Bisenz**
المورافية الوديعه ، وقد دل التحليل ان مرد ذلك ليس الى صدور
في نفسي عن هذه المدينة ، وان النسيان ناجم بالاحرى عن
التشابه الذي بين اسمها واسم قصر بيزنسي **Bisenzi**
في اورفيتو **Orvieto** ، وكنت قد أزعجت فيه اوقاتا هنيئة
فيما غبر من الايام . وهنا يواجهنا ، لأول مرة ، مبدا سيتكشف
لنا لاحقا مدى اهمية الدور الذي يلعبه ، من منظور التعليل
القصدي لنسيان الاسماء ، في تعيين الاعراض العصبية : ونعني
به رفض الذاكرة استحضار ذكريات مقترنة بمشاعر مؤلمة ،
ذكريات من شأنها لو استحضرت ان تجدد مشاعر الالم هذه .
ولزام علينا ان نتعرف في هذا الميل الى تحاشي الكدر الذي قد
تسببه الذكريات او غيرها من الافعال النفسية ، في هذا الفرار
النفسي من كل ما هو مؤلم موجه ، العلة الغائبة الفعلية لا لنسيان
الاسماء فحسب ، بل ايضا لكثير من الهفوات ، كالتسهمو
والغلط ، الخ .

لكن يبدو ان ثمة عوامل نفسية - فيزيولوجية تسهل نسيان
الاسماء بوجه خاص ؛ لذا قد نلاحظ حدوثه حتى في الحالات التي
لا يتدخل فيها اي عنصر ذي صلة بإحساس مكدر . وحين تواجهون
شخصا به ميل الى نسيان بعض الاسماء ، فسيتيح لكم البحث
التحليلي على الدوام ان تتحققوا من انه اذا كانت بعض الاسماء
تغيب عن ذاكرته فليس ذلك لنفور به منها او لانها تذكره بما
يكره ، بل لانها تنتمي الى دائرة اخرى من دوائر التداعي وتصل
بها اتصالا اوثق . فلئان هذه الاسماء قد ربطت الى هذه الدائرة
وسمّرت بها ، ومنعت عن التداعيات التي قد تتكون تبعاً

للظروف . فلو تذكرتم ما يلجأ اليه بعض الناس من حيل لتقوية ذاكرتهم ، لأدركتم بشيء من الدهشة ان الاسماء تنسى بفعل نفس الترابطات التي يصطنعها المرء عن قصد وعمد ليتحاشى نسيانها . ومن الامثلة النموذجية على ذلك اسماء الاشخاص التي لا بد ان يكون لها - هذا بدهي - دلالة نفسية مختلفة عند الناس تبعاً لاختلافهم بدورهم . خذوا اسم «تيودور» مثلاً . فهو لا يعني شيئاً بالنسبة الى بعضكم ، لكنه عند بعضكم الآخر اسم اب او اخ او صديق او اسمه الشخصي بالذات . وستدلكم التجربة التحليلية ان الفريق الاول بمنجى من ان ينسى ان ثمة شخصاً اجنبياً يحمل هذا الاسم ، بينما سينزع الفريق الثاني على الدوام الى ان يظن على الغريب باسم يلوح له انه وقف على معارفه الشخصيين . فاذا ما أضفتم الان الى هذا العائق الترابطي تأثير مبدأ الكدر ومبدأ وجود اوالية غير مباشرة ، امكنكم ان تكونوا فكرة مطابقة عن درجة تعقيد اسباب النسيان المؤقت لاسم من الاسماء . غير ان التحليل العمق كفيلاً بأن يحل جميع خيوط هذه العقدة المتشابكة .

ان اثر الميل الى عدم تذكر كل ما هو مستكره أشد بروزاً وأكثر اطراداً في نسيان الانطباعات والاحداث المعاشة منه في نسيان الاسماء . وهذا الضرب من النسيان لا يجوز لنا اعتباره من قبيل الهفوات الا بقدر ما يبدو لنا ، على ضوء خبرتنا اليومية ، باعثاً على الدهشة ولا مبرر له ، أي حين يطال النسيان ، مثلاً ، انطباعات قريبة العهد او جليلة الشأن ، او انطباعات تنشأ عن غيابها ثغرة في مجموعة متكاملة من الذكريات الراسخة التي لا تنتسى ابداً . فلماذا وكيف يمكن لنا ان ننسى بصورة عامة ، او على الاخص ، احداثاً تركت في نفوسنا أعماق الانطباعات كأحداث السنوات الاولى من طفولتنا ؟ ان هذه لمشكلة تختلف عما نحسن بصده كل الاختلاف ؛ وقد نستطيع ، في مسعانا الى حلها ، ان

نعزو دورا ما الى الاحتماء من الاحاسيس المؤلمة ، ولكن شرط التنبه مقدما الى ان هذا العامل يبعد عن ان يفسرها بتمامها . ان سهولة نسيان الانطباعات المستكرهة واقعة لا جدال فيها . وقد تنبسه العديد من علماء النفس لهذه الواقعة التي كان لها وقع عميق في نفس داروين العظيم حدا به ان يتخذ لنفسه «قاعدة ذهبية» بأن يدون بعناية خاصة الملاحظات التي تبدو له معارضة لنظريته والتي لا تريد ، كما تسنى له ان يتحقق ، ان تثبت وترسخ في ذاكرته .

ان من يسمع لأول مرة ان النسيان وسيلة دفاعية للاحتماء من الذكريات المؤلمة لا يتخلف ، الا فيما ندر ، عن ابداء الاعتراض التالي بالاستناد الى خبرته الذاتية : ان الذكريات المؤلمة هي التي تستعصي بالاحرى على النسيان ، وهي التي تعاود المرء مرارا وتكرارا ، مهما يفعل ليكتمها ويقمعها ، وتقض مضجعه بلا انقطاع، ومنها على سبيل المثال ذكريات الهوان والمذلة . هذا حق لا ريب فيه ، لكن الاعتراض باطل . وخليق بكم الا يغرب عن بالكم ان الحياة النفسية ميدان حرب وحلبة صراع تتواجه فيها ميول ونزعات متعارضة ، او انها ، بلغة اقل دينامية ، تتألف من متناقضات وازواج من الازداد . فاذا ما اثبتنا وجود ميل معين ، لا نكون قد اثبتنا بذلك عدم وجود اي ميل آخر يفعل فعله في اتجاه معاكس . فثمة مجال لكل منهما . وبيت القصيد ان نعرف العلاقات التي تقوم بين هذين الميلين المتناقضين ، والافعال التي تصدر عن كل منهما .

ويحظى منا ضياع الاشياء وتعذر الاهتداء الى موضعها باهتمام خاص ، بسبب تعدد التأويلات التي تصلح لهاتين الهفتين ، وتنوع الميول التي تصدعان بأمرها . والشئ المشترك بين الحالات جميعا هو ارادة التضيق ؛ اما ما يميز حالة عن اخرى فهو سبب التضيق وهدفه . فالمرء يضيق الشئ ان رثّ وبلي ، او ان عقد النية على استبداله بآخر أحسن منه ، او عافته نفسه ، او ان

جاءه من شخص لم يعد يجمعه وإياه ود موصول ، او ان حازه في ظروف لا يطيب له ان يعود الى التفكير بها وتذكرها . وإسقاط الاشياء او اتلافها او كسرها قد يخدم الغايات نفسها . وقد دلت التجربة في الحياة الاجتماعية ان الاطفال الذين يولدون خارج نطاق الزواج ويكون وجودهم مفروضا هم اكثر هشاشة وخرعا بكثير من الاطفال المعترف بشرعيتهم . وليس هذا من نتيجة اللجوء الى بعض الوسائل البدائية في محاولة اجهاضهم ، بل مرده الى قلة ما يحظون به من عناية . ولعله من الممكن ان نفسر المحافظة على الاشياء بمثل ما نفسر به المحافظة على الاطفال .

على ان الناس يضيعون في حالات اخرى اشياء لم تفقد شيئا من قيمتها ، ويكون دافعهم الاوحد الى ذلك التضحية بشيء اتقاء لشر الحسود وتلافيا لفقدان شيء آخر اعز قيمة بكثير . ويدلنا التحليل ان هذه الطريقة لتحاشي النحس واتقاء شر الاقدار لا تزال شائعة لدينا ، ولهذا السبب فان ضياع اشياتنا هو في كثير من الاحيان قربان متعمد . وقد يكون ضياع الاشياء ايضا تعبيرا عن كيد او تكفيرا عن ذنب . وخلاصة القول : عديدة لا تحصى هي الدوافع والحوافز البعيدة والعميقة للنزوع الى التخلص من الاشياء بفقدائها .

اما الإخطاء Méprise فكثيرا ما يكون ، مثله مثل سائر الهفوات ، وسيلة لتحقيق رغبات كان يجدر بالمرء ان ينكرها على نفسه . وفي هذه الحال يلبس القصد لبوس المصادفة الموافقة . ومثال ذلك ان واحدا من اصدقائنا استقل القطار الى ضواحي المدينة ليقوم بزيارة عن غير رغبة منه ، لكنه اخطأ في محطة التبديل فأخذ القطار الذي يميده الى المدينة . وقد يرغب الانسان ايضا، اثناء رحلة له ، في التوقف في محطة وسيطة ، مع ان مثل هذا التوقف يتعارض والتزاماته الاخرى ، فاذا به يفوته ، كما لو مصادفة واتفاقا ، قطار التبديل ، الامر الذي يتيح له في خاتمة الحساب ان يتوقف بحسب رغبته . واستطيع ايضا ان اضرب لكم

مثال مريض من مرضاي كنت قد نهيته عن الاتصال بعشيقته هاتفيا ، فاذا به كلما شاء مكالمتي «يخطيء» ويطلب «عن غير عمد» رقما آخر هو بالتحديد رقم عشيقته . وهاكم اخيرا قصة فصيحة الدلالة رواها لنا احد المهندسين ، وتنطوي على اهمية عملية كبيرة من حيث انها تجعلنا نلمس لمس اليد مقدمات إتلاف الاشياء بنتيجة الإخطاء :

«كنت اقوم ، قبل فترة من الزمن ، مع عدد من زملائي في المدرسة العليا بسلسلة من التجارب الشديدة التعقيد حول المرونة ، وهو عمل كنا قد تطوعنا بالقيام به مجانا ، لكنه بدأ يستنفد منا وقتا اطول مما كنا نتوقع . وفيما انا قاصد ذات يوم المختبر مع زميلي ف ، صارحني ببرمه بما سيضيعه من وقت في ذلك اليوم ، مع ان الاعمال التي تنتظره في بيته كثيرة . وما وسعني الا ان اواقفه ، وقلت له مازحا وملمحا الى حادثة وقعت في الاسبوع المنصرم : «لنأمل ان تتمطل الآلة اليوم كما في المرة السابقة ، فيتاح لنا ان نوقف العمل ونصرف في وقت مبكر !» . ولدى توزيع العمل ، كان من نصيب زميلي ف ان كلف بضبط صمام المكبس ، بحيث ينساب سائل الضغط من المرمك الالى اسطوانة الضغط المائي ببطء وتؤدة . وكان المشرف على التجربة يقف قرب المانومتر (٢) ، وكان عليه اذا ما وصل الضغط الى الحد المطلوب ان يأمر بعالي صوته بالتوقف الفوري . فلما سمع ف بهذا الامر ، أمسك بالصمام وأداره بكل قوته ... الى اليسار (ان جميع الصمامات بلا استثناء تقفل بإدارتها الى اليمين !) . فكان من نتيجة ذلك ان كل ضغط المرمك انتقل فجأة الى المكبس ، مما تعدى مقاومة الانابيب ، فانفجر لحام احدها . لم تكن الحادثة ذات خطورة ، لكنها ارغمتنا على وقف العمل وعلى الانصراف الى

بيوتنا . والغريب في الامر انه عندما تسنى لي بعد زمن غير طويل ان أحداث صديقي ف عن الحادثة ، زعم انه لا يذكر شيئاً عن العبارة التي قلتها له يومئذ مازحا ، مع انها انطبعت في ذاكرتي بعد وقوع الحادثة انطباعا راسخا» .

ان حالات من اشباه هذه الحالة قميئة بأن تدخل الريب الى نفوسكم بأنه عندما تتحول أيدي خدامكم في كثير من الاحيان الى أعداء لما لديكم من آنية وأدوات في منزلكم ، فان ذلك ليس مرده الى المصادفة البريئة . بل في مقدوركم ايضا ان تتساءلوا عما اذا كانت المصادفة هي المسؤولة الوحيدة على الدوام عن الأذى الذي ينزله الانسان بنفسه او عن الخطر الذي يعرض له سلامته . ولعلكم واصلون الى قطع ذلك الشك بيقين والى الاجابة عن هذا التساؤل متى ما قمتم بتحليل ما قد يتجمع لديكم من ملاحظات ومشاهدات .

انني لم استنفذ كل ما يمكن ان يقال عن الهفوات . ولا تزال هناك نقاط كثيرة تستدعي الفحص والنقاش . ولكني لن اكون الا مقتبعا فيما لو تأكد لي انني افلحت ، بالنزر اليسير الذي حدثكم به ، في زعزعة افكاركم القديمة حول الموضوع الذي كنا بصددده، وفي تهيتكم لتقبل افكار جديدة . أما بخصوص ما تبقى ، فلست اشعر بتبكيك من ضمير اذا تركت الاشياء عند الحد الذي وصلنا بها اليه ، من دون ان امضي قدما في البحث . فمبادئنا لا تستمد أدلتها وبراهينها كلها من الهفوات وحدها ، ولا شيء يرغمننا على حصر أبحاثنا بحيث لا تتناول سوى المواد التي توفرها لنا هذه الهفوات . والقيمة الكبرى للهفوات عندنا انما تكمن في انها متواترة دائمة ، وفي ان كل انسان يستطيع ان يلاحظها بسهولة فسي نفسه ، وفي ان وقوعها ليس مشروطا بالضرورة بحالة مرضية . وأود ان اذكركم ، في الختام ، بسؤال من اسئلتكم تركته بلا جواب حتى الان : «اذا كان الناس قريبين غاية القرب من فهم الهفوات ، ويتصرفون في كثير من الاحيان كما لو انهم يدركون

معناها ، كما يتضح ذلك من كثير من الامثلة ، فكيف تبدو لهم هذه الظاهرات نفسها ، بصفة عامة ، عرضية وغفلا من الدلالة والاهمية ، ولماذا يبدوون ما يبدوونه من مقاومة ازاء تفسيرها على ضوء التحليل النفسي ؟» .

انتم على حق: فهذه واقعة تبعث على العجب وتتطلب تفسيراً. لكن بدلا من ان اقدم لكم هذا التفسير جاهزا ، اؤثر ان اتقدم وإياكم في خطوات وثيدة متتالية كيما تنهيا لكم المقدرة على الوصول اليه بانفسكم ، من دون حاجة الى معونتي .

الفهرس

٥	تقديم
٧	المحاضرة الاولى : تمهيد
٢٠	المحاضرة الثانية : الهفوات
٣٨	المحاضرة الثالثة : الهفوات (تابع)
٦٢	المحاضرة الرابعة : الهفوات (خاتمة)



مؤلفات سيغموند فرويد

- مختصر التحليل النفسي (طبعة ثانية)
- مدخل إلى التحليل النفسي (طبعة ثالثة)
- محاضرات جديدة في التحليل النفسي (طبعة ثالثة)
- خمسة دروس في التحليل النفسي (طبعة ثالثة)
- الحلم وتاويله (طبعة خامسة)
- الحياة الجنسية (طبعة ثانية)
- الكف، العرض، الحصر
- الهذيان والاحلام في الفن (طبعة ثالثة)
- التحليل النفسي للهستيريا: حالة دورا (طبعة ثانية)
- التحليل النفسي للعصاب الوسواسي: رجل الجردان
- الطوطم والحرام (طبعة ثانية)
- الانا والهذا
- التحليل النفسي لرهاب الأطفال: هانز الصغير
- افكار لازمنة الحرب والموت (طبعة ثالثة)
- النظرية العامة للأمراض العصابية (طبعة ثانية)
- موسى والتوحيد (طبعة رابعة)
- مستقبل وهم (طبعة رابعة)
- ثلاثة مباحث في نظرية الجنس (طبعة ثالثة)

مدخل إلى التحليل النفسي

المحاضرات التي ألقاها فرويد في ١٩١٥ - ١٩١٧ تحت عنوان مدخل إلى التحليل النفسي تؤلف، بلا جدال، أوسع عرض وأشمله للتحليل النفسي مذهباً وعلاجاً.

هذه المحاضرات، علاوة على شمولها، تتسم ببساطتها وسهولتها: فقد ألقاها فرويد ارتجالاً ابتغاء تعريف الجمهور الواسع بمبادئ التحليل النفسي وتقنياته.

وقد اتخذ فرويد، في أربع محاضرات أولى، من «علم نفس الهفوات» مدخلاً إلى هذا المدخل للتحليل النفسي، ثم أعقبها بإحدى عشرة محاضرة عرض فيها «نظرية الأحلام»، ثم بثلاث عشرة محاضرة تناول فيها «النظرية العامة للأمراض العصبية». وفي سنة ١٩٣٢ أخيراً استكمل فرويد في محاضرات سبع - كتبها ولم يُلقها - كل ما استجد في التحليل النفسي وجعل عنوانها العام «محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي».

وتُقدم دار الطليعة، في هذا الكتاب، الترجمة الكاملة لعددٍ من هذه المحاضرات الخمس والثلاثين الموسوعية.

دارُ الطليعة للطباعة والنشر - بيروت